هويتنا الثقافية و تحدي العولمة وموقف الإسلام منها

بحث مقدم

من

الدكتـــور / حمدي عبد الله نافع .

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة و الفلسفة

في كلية الدراسات الإسلامية و العربية للبنات بالإسكندرية

جامعة الأزهر

و المعار إلى كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم الدراسات الإسلامية

جامعة الإمارات .

١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد و على آله و صحبه و التابعين لهم باحسان إلى يوم الدين ... و بعد

فإن العالم الإسلامي يواجَه اليوم بأساليب متعددة و متنوعة للنيل منه ، و كلما اكتشف المسلمون أسلوباً منها ، جاء أعداء الإسلام بأساليب جديدة ، من أجل تحقيق ما يطمحون إليه و هو القضاء على الإسلام ، أو إبعاد المسلمين عن دينهم و قيمهم ليستمروا في واقعهم المؤلم ، تُنتهك حقوقهم و حرماتهم و تسلب أموالهم دون أن يكون لهم الحق في الدفاع عن وجودهم الذي يتعرض لخطر الإبادة في كثير من البلدان في العالم .

و في النصف الثاني من القرن العشرين وأوائل القرن الحادي و العشرين يبرز لنا الغرب أسلوباً آخر يوهمنا بأنه قطار النجاة للبشرية ، من فاته هذا القطار فقد خسر خسراناً مبيناً وهو قطارٌ العولمة الذي يقوم على اختراق الحواجز ، و سحق الهوية الذاتية ، و تهميش السيادة القومية للدول، و القضاء على التنوع الثقافي ، يقوده القطب الغربي ، وإن شئت فقل القطب الأوحد " الولايات المتحدة الأمريكية " .

و قد أثار الحديث عن ظاهرة العولمة نقاشاً واسعاً في المحافل الدولية و في البلاد العربية و الإسلامية على حد سواء ، فقد ارتبط ذكرها بالحاضر و المستقبل ، و صار التفكير فيها تفكيراً في المستقبل القريب في الوقت نفسه .

وأول ما ظهر مصطلح العولمة ظهر في مجال الاقتصاد و للتعبير عن ظاهرة اتساع مجال الانتاج و التجارة ليشمل السوق العالمية كلها ، و لكن ما لبث أن تجاوز مجال الاقتصاد و المال إلى مجالات أخرى فشمل أيضاً السياسة و الاجتماع و الفكر و الثقافة بل الدولة بجميع أنشطتها .

و إذا كانت هذه الظاهرة ، قد نجحت فعلاً في تغيير بعض الأنماط و السلوكيات في النواحي الاجتماعية ، كالمأكل و المشرب و الملبس ، و التحلل من بعض القيم و العادات و التقاليد ، فإن الدول العربية الإسلامية في ظل هذه الظاهرة تواجه تحدياً كبيراً ، فهل تستطيع المقاومة أو التعامل بإيجابية مع هذا الغزو ؟ أو تتخلى عن دورها في حماية ثقافتها وقيمها وآدابها و دينها وهويتها ؟

وتهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على ظاهرة العولمة بوجه عام و العولمة الثقافية وأبرز تحدياتها بوجه خاص ، وموقف الإسلام ثقافياً و حضارياً من هذه الظاهرة و التحديات التي تتبناها للقضاء على هويتنا الثقافية .

و يتكون هذا البحث من مقدمة و ستة مباحث و خاتمة :

- أما المبحث الأول : فعن مفهوم العولمة وأبعادها المكونة لها و متى بدأت ؟
- و المبحث الثاني : بعنوان "هل العولمة حتمية تاريخية " ؟
- المبحث الثالث : في آثار العولمة وأهدافها الحقيقية .
- المبحث الرابع : في الثقافة و العولمة (عولمة الثقافة).
- المبحث الخامس : تحديات العولمة لثقافتنا العربية الإسلامية .
- المبحث السادس : موقف الإسلام ثقافياً وحضارياً من تحدي العولمة .
- أما الخاتمة : ففيها أهم النتائج و التوصيات التي توصلت إليها الدراسة .
- ثبت بأهم مصادر و مراجع البحث .

المبحث الأول :مفهوم العولمة وأبعادها المكونة لها ومتى بدأت ؟

أولاً : مفهوم العولمة :

رغـم شيوع مصطلح العولمة و رواجه الشديد في العقد الأخير من القرن المنصرم و بداية هذا القرن ،وامتداده من الاقتصاد إلى مختلف مناحي الحياة الاجتماعية و السياسية و الثقافية إلا أنه لازال يحمل العديد من المعاني و المضامين وأوجه الاختلاف و التضارب .

فتعنـي العولمـة في معناها اللغوي :تعميم الشيء و توسيع دائرته ليشمل العالم كله ،أوصيرورة العالم واحداً (١) .

وأول مـا ظهر مصطلح العولمة في أمريكا تحت كلمة Globalaization وترجم إلى الفرنسية بكلمة Mondalaization التـي تعني جعل الشيء على مستوى عالمي ، أي نقله من المحدود المراقب إلى اللامحدود الذي ينأى عن كل مراقبة ، والمحدود -هنا أساساً - هو الدولة القومية التي تتميز بحدود جغرافية ، وبمراقبة صارمة على كل المستويات ، أما اللامحدود فالمقصود به العالم كله ،

وترجمت إلى العربية بثلاث معان (الكونية ،الكوكبية ، العولمة)واشتهر منها مصطلح العولمة .

و العولمـة فـي اللسان العربي من العالم و يتصل بها فعل (عُولم)على صيغة فوعل و هي من أبنية الموازيـن الصرفية العربية ويلاحظ على دلالة هذه الصيغة -كما يرى د. محمد عابد الجابري -أنها تفـيد وجود فاعل يفعل ، وهذا ما نلاحظه على صيغة (zation) في الإنجليزية ، بخلاف صيغة (ism) فـي (Globalisim) التي تعني العالمية (٢) .

الاتجاهات في تعريف العولمة اصطلاحاً :

تعـددت تعـريفات العولمة تبعاً لتعدد المفكرين و المنظرين لها على حسب انتماءاتهم وتوجهاتهم الفكرية و العقدية بين مؤيد لها و معارض .

فالمؤيدين لها يصورونها بأنها جنة الله في أرضه ،وأنها قدر محتوم لا مفر منه ،وهي في نظرهم الحرية و الديمقراطية و التقدم العلمي ، و المساواة بين الناس ،وأنها العصا السحرية التي ستحل كل مشاكل البشرية .

لذلك نرى بعضهم يصفها بأنها " ثورة معرفية تتركز على الانتقال من الحداثة إلى ما بعد الحداثة ، و ثورة قيمية تعني الانتقال من القيم المادية إلى القيم ما بعد المادية "(٣) .

ومـن المؤيديـن للعولمـة أيضـاً و المروجين لها الكاتب : حازم صاغية الذي يدعو إلى وداع العـروبة ونهايـة القومـية العربية لحساب العولمة التي ستسقط سلطة الدولة القطرية و الفكرية و القومية ، و تحقيق حقوق الإنسان العالمي (٤) .

---

(١) د. مصطفى حجازي ،العولمة و التنشئة المستقبلية ، مجلة العلوم الإنسانية ، العدد ٢،صيف ١٩٩٩ ،ص٢٠

(٢) د.أحمد صدقي الدجاني ، مناقشة لبحث السيد ياسين ،حول مفهوم العولمة ،من كتاب العولمة و العرب ،تحرير أسامة الخولي ،بيروت،مركز دراسات لوحدة العربية ،١٩٩٧ ،ص٦٢ .

(٣) الأستاذ السيد ياسين ،مقالة في مفهوم العولمة ،في المرجع السابق ،ص ٢٥ .

(٤) حازم صاغية ،وداع العروبة أم عروبة إلى الأبد ،نشر جريدة البيان ،العدد٦٤٨١

و في المقابل نرى المعارضين للعولمة ،يصورونها بأنها وحش كاسر يبتلع كل ما يقف أمامه ،وأنها محكومة بقانون الغاب البقاء للأقوى فالأقوى هو الذي يستطيع فرض هويته الثقافية ،ونظامه الاقتصادي و السياسي و الاجتماعي الأمر الذي يؤدي إلى سقوط الدولة القومية ومحو هويتها ، كما أن الدولة ستتخلى عن دورها القومي ، و لن تتمكن من حماية مواطنيها من الاستغلال و البطالة و الفقر لأن قوى السوق هي التي ستفصل كل شيء ، و الثقافة ذات الأدوات التقنية المتطورة و السريعة و النافذة على أقطار العالم هي التي ستسود وتنزوي ثقافات الأمم الضعيفة المحدودة الامكانات .

ويؤيد هذا الاتجاه فئة غير قليلة من المفكرين و الباحثين منهم على سبيل المثال لا الحصر د.سمير أمين الذي يعرفها بأنها :" استراتيجية متبعة في النظام الرأسمالي العالمي للإعلان عن مكاسب دول بعينها ، وبخس دول أخرى ، و إلحاق الأذى باقتصادياتها بشكل متعمد حفاظاً على دولة الرفاهية الغربية (١) .

أو كما يصورها د.سيار الجميل على أنها :" عملية اختراق كبرى للإنسان و تفكيره ،و للذهنيات وتراكيبها وللمجتمعات وأنساقها ،وللدول و كياتها ،وللجغرافيا ومجالاتها ،وللاقتصاديات و حركاتها ،وللثقافات و هوياتها وللاعلاميات و تداعياتها "(٢) .

أما الدكتور مصطفى محمود فيقول :" العولمة مصطلح بدأ لينتهي بتفريغ المواطن من وطنيته و قوميته و هويته وانتمائه الديني ، بحيث لا يبقى منه إلا خادم للقوى الكبرى التي تسمى نفسها بالنظام العالمي الجديد ... .. " (٣) .

أما المحايدون في نظراتهم للعولمة فيتناولونها كظاهرة عامة لها إيجابياتها و سلبياتها و مجالاتها المتعددة المتداخلة ،وأنها ستحدث تحولات وتغيرات دولية لا تقف عند حد يكون الانتماء فيها للعالم عبر الحدود الوطنية ، أو كما يقول الأستاذ :إسماعيل صبري عبد الله :" العولمة هي ظاهرة تتداخل فيها أمور الاقتصاد و السياسة و الثقافة و الاجتماع و السلوك ،يكون الانتماء فيها للعالم كله عبر الحدود السياسية للدولة ، وتحدث فيها تحولات على مختلف الصعد تؤثر على حياة الإنسان في كوكب الأرض أينما كان ، و يسهم في صنع هذه التحولات ظهور فعاليات جديدة .."(٤)

ونظر لشمول هذه الظاهرة لمجالات الحياة المختلفة تنوعت آراء الباحثين فيها و تعريفه لها كل على حسب اهتماماته سواء أكانت اقتصادية أو سياسية أو ثقافية وهو ما سنوضحه الآن في حديثنا عن أبعاد العولمة أو " مكونات العولمة "

---

(١) راجع بحثه : (نقد الأيديولوجية الرأسمالية)،من كتاب العولمة و التحولات المجتمعية في الوطن العربي ،تأليف نخبة من الباحثين ، تحرير د.عبد الباسط عبد المعطي .

(٢) د.سيار الجميل ،العولمة و المستقبل ،استراتيجية تفكير ، الأهلية للنشر و التوزيع ،ط١،عمان،ص٣٢

(٣) نقلاً عن مجلة (الإسلام وطن) العدد ١٣٨،حزيران ،١٩٩٨م،ص١٢،ومراجع جريدة البيان ،العدد٦٥٢ .

(٤) أحمد صدقي الدحاني ،الدين و النظام الالمي بمنظور إسلامي ، مجلة الأكاديمية المغربية ،الرباط ،العدد ١٢،١٩٩٥ ،ص ١٩ .

ثانياً : أبعاد العولمة :

تنطوي العولمة على أربعة أبعاد :

١. البعد الاقتصادي : وهو البعد الذي يشكل العصب الأساسي في العولمة تبعاً لآراء الخبراء ، ويحتوي على مؤشرات واتجاهات اقتصادية عالمية جديدة لم تكن معهودة في السابق تشكل في مجملها العولمة الاقتصادية ، التي يتم من خلالها فرض النظام الرأسمالي الغربي على العالم بزعامة أمريكا ، وتعرف العولمة الاقتصادية بأنها : (حقبة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء في ظل هيمنة دول المركز بقيادتها و تحت سيطرتها في ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ) (١) فالعولمة في المجال الاقتصادي تعني العلاقات خارج سيطرة الدولة الواحدة تشير إلى سوق تجارية بدون حدود ، يسيطر عليها شركات متعددة الجنسيات ،متحررة من صفة الوطنية أو القومية ،يجمعهم التشابه في ظروف الحياة و في معايير القيم الاقتصادية ، بحيث تتوحد طموحاتهم وأزواقهم و توقعاتهم وأهدافهم .

٢. البعد السياسي للعولمة :

وهو الذي تحاول العولمة فيه إنهاء دور الدول القومية ،وخلق نمط جديد من الدولة المترهلة التي تفقد سلطانها على حدودها ومواردها و مواطنيها ،ولهذا البعد عدة تعاريف منها تعريف د. محمد عبد الشفيع الذي يرى أنها " اتجاه جديد يصبغ الحياة الاقتصادية و الاجتماعية بالصبغة العالمية ،فأي مجتمع قومي لا يستطيع الانكفاء على ذاته اليوم وإنما لابد أن يدخل في علاقات مفتوحة يسمونها متعددة الأطراف مع بقية دول العالم) (٢) .

٣. البعد الاجتماعي للعولمة : وهو يتجلى من خلال فرض النمط الاجتماعي الغربي في مجال الأسرة و العلاقات الفردية و أنماط الاستهلاك بالقوة الجبرية .

غير أن بعض الباحثين ينخدع ببريق العولمة الاجتماعية و يعرفها بأنها " عملية تصور في الغالب كقوة إيجابية تعمل على توحيد المجتمعات وتحقيق تكاملها في قرية كونية الكل يغتني في إطارها" (٣)!!

٤. البعد الثقافي للعولمة (موضوع الدراسة)

ولفظة العولمة في المجال الثقافي تعني أن هناك خصائص ثقافية ذات طابع عالمي ، متحررة من التأثر بثقافة معينة ،وتصلح لأن يأخذ بها الأفراد و المنتمون إلى ثقافات ومجتمعات متباينة لكل ثقافة نسق من القيم و المعايير وأن هذا النسق متأثر إلى درجة كبيرة بالدين السائد ،وكذلك اللغة،

(ويفترض في الخصائص الثقافية التي تناسب العولمة عدم تعارضها مع الأنساق المحلية للقيم فهي نظرياً خصائص تطورت نتيجة تعاون ثقافات كثيرة تمكنت من تطوير صياغة توفيقية) (٤) .

---

(١) صادق جلال العظم ،ما هي العولمة ،مجلة الطريق ، بيروت ، العدد ٤ ، ١٩٩٧ ، ص ٣٤ .

(٢) د. محمد عبد الشفيع ،التنمية وأوهام خمسة ،مجلة السياسة الدولية ،العدد ١٣٣، ١٩٩٨م،ص ١٨.

(٣) نقلاً عن د. باسم خريسان ، العولمة والتحدي الثقافي ، دار الفكر ، بيروت ، ٢٠٠١ ، ص٢٢ ، ٢٣ .

(٤) د.مصطفى عمر التير ،آراء حول المحافظة على الهوية الثقافية العربية في ظل العولمة ،مجلة دراسات العدد ، ص ٧٤.

و هذه النظرة المتفائلة لعولمة الثقافة التي تقوم على المحافظة على النسق المحلية للقيم قال بها أيضـاً الأستاذ عبد الله عبد الدايم حين كتب يقول :" وغني عن البيان أن مثل هذا التفاعل بين الثقافات العالمـية ينبغـي أن يـؤدي في النهاية إلى تقارب عملي قوامه وضع مجموعة من الثوابت العالمية الثقافية التي ينبغي أن تعمل الثقافات جميعها على احترامها وتعميق جذورها ،وتوليد مثل هذه الثوابت وقبولها أمر ممكن إذا هو تم عن طريق الحوار الحقيقي و حل محل فرض ثوابت ثقافية معينة ،أو بلد معيـن على العالم كله ، و الادعاء بأنها هي وحدها -كـما هو الشأن في الولايات المتحدة – الثوابت العالمية (١) .

و يعـرف "كـارل بولانـي " عولمة الثقافة بأنها :" عملية مزدوجة تجمع بين التوحيد و التآلف و في الوقت نفسه المقاومة و الاختراق " (٢)

و يصـورها "جيمس ميتلمان "بأنها " عملية مقابلة ثقافية بين الحضارات يعتريها الكثير من التناقض وعدم الاستمرار (٣) .

تـبرز الأفكار السابقة التي تناولت مصطلح العولمة التباين الكبير في النظرة إليها و التعامل معها من حيـث المفهـوم و البنية و الأبعاد الوظيفية المكونة لها و النتائج و المنعكسات ،وهذه ظاهرة طبيعية من الناحية العلمية و المنهجية ،إذ إن كل باحث يتعامل مع العولمة في النهاية كتعامله مع أية ظاهرة أخـرى ، لـيس من خلال منظور علمي منهجي فقط ، بل من خلال الايديولوجية التي يرتكز عليها و ينطلق منها .

فالعولمـة فـي إطارها العام تبرز على أنها الناتج النهائي لعملية تحول تاريخية كبيرة و مستمرة في المجتمع الدولي ، تحمل في إطارها اتجاهاً متنامياً لتحويل العالم في كثير من مجالات الحياة إلى دائرة اقتصـادية و سياسـية و اجتماعـية و ثقافية واحدة تتلاشى داخلها الحدود القومية ،وذلك من خلال اتساع حركة التفاعل و الاندماج بين جميع الدول و الشعوب .

بـل يمكننا القول بأن العولمة عبارة عن عملية تذويب وانصهار اقتصادي و سياسي واجتماعي و ثقافـي لشعوب و ثقافات الأرض في بوتقة واحدة ، تصبغ بصبغة القوى الفاعلة و المؤثرة فيها و لا سيما الثورة التقنية و المعرفية .

ثالثاً : تشكل ظاهرة العولمة :

بعـد أن تحدثـنا عن العولمة كمصطلح نتكلم عنها من حيث كونها ظاهرة ، فمتى تشكلت ظاهرة العولمة؟

بعض الباحثين يرى أن هذه الظاهرة قديمة ترجع إلى الثورة الصناعية في القرن الثامن عشر ، و ذلـك لتزيد من انتاج السلع عن طريق إنشاء مستعمرات في افريقيا وآسيا وأمريكا ، و قد مكنتها هذه المسـتعمرات من الحصول على المواد الخام بأرخص الأثمان ،وهذا ما يفسر ما كان من اندماج الدول الفقيرة المستعمرة في اقتصاديات الدول الصناعية الكبرى في أوروبا .

---

(١) عبد الله عبد الدايم ،العرب والعالم بين صدام الثقافات وحوار الثقافات ،المستقبل العربي ،العدد١٩٩٦،٢٠٣م،ص ٢٦ .

(٢)جيمس ميتلمان ،هواجس العولمة ،عرض مجلة السياسة الدولية ،العدد ١٩٩٨،١٣١،ص ٣٣٩ .

(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

و هـناك مـن يعـود بهـا كنظام اقتصادي إعلامي إلى مبادرة تقدم بها بعض المنظرين في الولايات المـتحدة الأمريكـية سـنة ١٩٦٥ طرحوا فيها ثلاث قضايا جعلوا منها برنامج عمل يضمن لأمريكا الهيمنة على العالم .

القضية الأولى : تتعلق باستعمال السوق العالمية كأداة للإخلال بالتوازن في الدول القومية .

و القضـية الثانـية : تخـص الإعلام بوصفه القضية المركزية التي يجب الاهتمام بها لأحداث التغير المطلوب على الصعيد المحلي .

و القضـية الثالثة : تتعلق بالسوق كمجال للمنافسة ، حيث ذهبوا في هذه القضية مذهباً خطيراً فقالوا :إن السوق يجب أن تصبح مجالاً لاصطفاء الأنواع مثبتين بصورة واضحة نظرية دارون التي تقول : إن البقاء للأصلح في مجال البيولوجيا و هم يقولون البقاء للأصح في مجال الاقتصاد و على مستوى عالمي .

وزادت فعالـية هـذه المـرحلة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي و انتهاء الحرب الباردة بين قطبي العالم الولايـات المـتحدة الأمريكـية ،و الاتحاد السوفيتي السابق ،وانفراد أمريكا بقيادة العالم ،وكذلك بعد انهـيار حائط برلين ،واندلاع حرب الخليج الثانية ، والحديث بعد ذلك عن" صدام الحضارات" و "نهاية التاريخ "إلخ من الظواهر و الأحداث التي احدثت تغيراً واضحاً في السياسات الخارجية للدول الكبرى، وفرض سيطرة تلك الدول على العالم ،اقتصادياً و سياسياً و ثقافياً .

و قـد ساعدهم على ذلك ثورة التقنيات الحديثة و بصفة خاصة "ثورة الاتصالات " التي قلبت الأوضاع في العالم رأساً على عقب ، حيث أصبح العالم اليوم بفضل وسائل الاتصال الحديثة كأنه قرية واحدة .

فقـد أحدثـت ثـورة التقنيات في مجال الاتصالات و المعلومات ثورة بحق ، حيث ساهمت في إحداث الكثـير من الالتي تتسم بزيادة اتغيرات في مختلف مجالات الحياة ، ففي الجانب الاقتصادي على سبيل المـثال نجدهـا قد ساهمت في تقليل المسافات بين الأسواق الاقتصادية ، واتجاهه بالعالم نحو القرية الكونـية الاقتصـادية (١) لتفاعل و الترابط بين العناصر الاقتصادية المكونة لها بحيث يتأثر أي جزء من أجزائها بالتغير الاقتصادي في جزء آخر .

كما أن هذه الثورة غيرت من قواعد اللعبة -كما يقول د. مصطفى التير - بالنسبة لانتقال الخصائص الثقافـية ،فالشعوب لا تتماثل في الامكانات المعرفية و التقانية و الاقتصادية ، حيث إن النصيب الأكبر مـنها يستحوذ عليه عدد قليل من الدول المتقدمة علمياً و تكنولوجياً ، و هي بدورها تتحكم في الدول الأخرى بأن تبعث لهم ما تريد هي أن يعرفوه ، و ليس ما يريدون هم معرفته (٢) .

و بالاضـافة إلى ما أحدثته ثورة تقنية المعلومات من تغييرات في العالم فإنه لا يمكننا تجاهل التغيرات السياسية و الاقتصادية و الفكرية التي هي الأخرى كأن لها دوراً فعالاً في ظهور العولمة ، فمثلاً لولا تفكـك الاتحاد السوفيتي السابق وما صاحب ذلك من تراجع في المد الشيوعي ، و بالتالي تبني العديد مـن دول العـالم للفكـر "الليبرالي " في شقه السياسي القائم على التعددية السياسية من وجه ،وشقه الاقتصـادي القائم على حرية السوق و التقليل من تدخل الدولة في الشؤون الاقتصادية . و خـير ما

---

(١) إدوارد سميث ،ما بعد الحداثة ، الفن البصري و الفن الحركي ،ترجمة فخري خليل ،مجلة آفاق عربية ،العدد ٧-٨ ، ١٩٩٥ ، ص٥٠

(٢)د. مصطفى التير ،آراء حول المحافظة على الهوية الثقافية العربية ،مرجع سابق ،ص٧٥ ، بتصرف .

يدلل على ذلك (الاندفاع واسع النطاق من قبل الدول المختلفة صوب تحرير التجارة و أسواق رأس المال) (١)١ وانتماؤها في الوقت نفسه إلى المنظمات الدولية كمنظمة التجارة العالمية المعروفة باسم " الجات " مما يؤكد أهمية دور الثورة التقانية و العلمية الفعال و الأساسي في ظهور العولمة .

لذا فإنني أتفق مع الرافضين لتلك الآراء التي ترجع بالعولمة إلى زمن يسبق عصر ثورة التقنيات و المعلومات كما يرى البعض حيث يعتبرون السيطرة الأجنبية على المستعمرات كانت عولمة جزئية معللين ذلك ،بزيادة الاعتماد المتبال بين المستعمرات والدول المهيمنة عليها ، أو بالأحرى زيادة الترابط السياسي و الاقتصادي و الثقافي بينهما (٢).

وهكذا نرى أثر الثورة التقنية و العلمية في ظهور ظاهرة العولمة ،وإبرازها للوجود بل و سيطرتها على العالم ،وأن أخطار العولمة تتعاظم بقدر ما يتعاظم الدور الذي تلعبه التقنيات الحديثة و تكنولوجيا المعلومات و مدى انتشارها ودور الإعلام المروج لها ، و القصور من جهة أخرى لدى دول العالم الثالث و منها الدول العربية والإسلامية ، عن مسايرة تقدم العصر الذي نعيش فيه ، وتفعيل مشاركتهم في مجال التقنيات باستخدامها في التنمية الشاملة في شتى المجالات وفهم قوانين اللعبة بأن يكون لديهم القدرة في إحداث عولمة مضادة ،أو فعالة تأثر وتتأثر بما يجري حولها في العالم .

---

(١) ضياء قريش ، العولمة: فرص جديدة وتحديات صعبة ، مجلة التمويل والتنمية ، الصندوق والبنك الدولي ، آذار ١٩٩٦ ، ص ٣٠ ، نقلاً عن الدكتور باسم خريسان ، العولمة والتحدي الثقافي ، مرجع سابق ، ص ١١٥ .

(٢) د. باسم خريسان ، المرجع السابق ، نفس الصفحة .

المبحث الثاني : هل العولمة حتمية تاريخية ؟

يحاول كثير من المروجين للعولمة تصويرها على أنها حتمية تاريخية و أنها تقدم اليوم مثالاً للتحولات الكبرى في التاريخ و أنها بذلك أمر حتمي وأن شكل العولمة الساري هو الشكل الوحيد الممكن لها ،وأن تصور أي مسيرة مختلفة لها لا يعدو أن يكون تصوراً خيالياً .

بينما يرى آخرون أنها ظاهرة يمكن رفضها وعدم التعامل معها ومن ثم الحفاظ على سيادة الدولة القومية ...

و الواقع أن العولمة حمالة أوجه تستعصي على اختزالها في نظرة أحادية سواءً على صعيد الاقتصاد و العمالة ،أم على صعيد الثقافة و الهوية القومية .

فالعولمة لها إيجابيات (١)تحمل فرصاً غير مسبوقة ، كما أن لها في المقابل سلبيات تحمل أخطاراً لا تقل ضخامة و تهديداً ، كما أن الآراء انقسمت بصددها على الصعيد الفكري و العلمي ما بين حماس مندفع بدون أي تحفظ ومعارضة شرسة في انتقاداتها بدون روية وتفهم لما فيها من إيجابيات و سلبيات شأنها شأن أي ظاهرة أخرى .

و العولمة في حقيقتها تعد ثمرة التطورات العلمية و التقنية الموضوعية النابعة من منطق التنافس بين الدول و الشركات ومن ناحية أخرى ثمرة إرادة الدول القوية الحاكمة في استغلال هذه التطورات لتحقيق أهداف تتعلق بخدمة مصالحها الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية و الثقافية .

فلا نستطيع أن نتصور العولمة إذاً من دون ثورة الاتصالات و تطور التقنيات الحديثة التي تكمن وراءها ،ولا نستطيع أن نفهم نتائجها كما نشاهدها اليوم من دون فهم السياسات الليبرالية أو (النيوليبرالية) التي توجهها .

فلا قيمة لهذه التقنيات لو بقيت مهملة و غير مستغلة من قبل طرف أو فاعل اجتماعي ودولي ،ولا يمكن لأي فاعل أن يستثمرها و يستفيد منها إلا إذا ارتبطت مصالحه بتحقيق الإمكانات التي تقدمها التطورات التقنية الموضوعية

و لكن هل معنى هذا أن العولمة مفروضة على المجتمعات و ليس أمام المجتمعات أي خيار آخر سوى الانخراط في ركبها أو أنها بوضوحها تعبيراً عن استراتيجية القوى الرأسمالية المسيطرة ،يمكن و ينبغي رفضها لصالح الحفاظ على الهوية و الاستقلال و الحرية التي تمكننا منها الوسائل التقنية التقليدية ؟ (٢) .

أرى أن هذا السؤال في غير محله خاصة بالنسبة للمجتمعات المنخرطة في المنظومة التقنية و العلمية الفعالة ،والتي تحاول أن تجد لها مكاناً وسط هذه المنظومة ودوراً تقوم به حتى لا تتخلف عن ركب التقدم التكنولوجي ،وعصر الفضائيات وثورة المعلومات .

بل إن المجتمعات التي تطرح مثل هذا السؤال هي المجتمعات التي يعيش على هامش المنظومة التقنية والعلمية السائدة اليوم ،فهذه المجتمعات -ولعل مجتمعنا العربي واحداً منها - لا تتأثر كثيراً

---

(١) سيأتي الحديث عن إيجابيات العولمة و سلبياتها في المبحث التالي .

(٢) برهان غليون ،ثقافة العولمة ،دار الفكر دمشق ،بيروت ،الطبعة الأولى ،١٩٩٩ ،ص ٢٥ ٢٦ ، بتصرف

إذا رفضت العولمة لأنها أساساً ليست عضواً فعالاً في المنظومة العالمية التي تكونها ، لكن هذا الرفض لا يمكنها من الابقاء علة موقعها من التراتبية الدولية .

ولعل السؤال الوحيد الممكن هو كيف نكون في العولمة وأي موقع يمكن أن نصنع لأنفسنا ؟

ذلك أن أبعادها الحتمية ستشكل مستقبل نمط الحياة على الأرض ، كما أنها تتضمن أبعاداً أخرى احتمالية يمكن العمل على توجيهها بما يحفظ الحقوق ، و يخدم الفرص ،و يصون الهوية .

أما الجانب الحتمي في العولمة فهو التطور في تقنيات المعلومات ،و الإعلام و ما يشكلانه من مرحلة حضارية جديدة فالفضاء المعلوماتي هو المحدد للإنسان المستقبلي ، كذلك فإن الانفتاح العالمي الذي يحمله العولمة أصبح حتمية أخرى إذ لم يعد بالإمكان التصرف من موقع العزلة لأنها لن تؤدي فقط إلى الإنعزال ، بل إلى الانجراف و فقدان الفرص سواء على الصعيد الاقتصادي أم الإعلامي ، كذلك فإن صدارة قوة العلم أصبحت من الحتميات ،ولابد لأي مجموعة تريد أن يكون لها دوراً ، من امتلاك الاقتدار المعرفي في أبعاده التقنية و العلمية العامة ، يجمع هذه الحتميات كلها حتمية المصير المشترك لكل من يعيش على كوكب الأرض (١) .

أما غير الحتمي الذي يظل قابلاً لمختلف الاحتمالات كما يرى د.مصطفى حجازي "فهو اقتصاد السوق ،ومحتوى واستخدام تقنيات المعلومات و الإعلام و مصير الثقافة و توجهها ،ومستقبل مشاريع الهيمنة الكونية و التنميط ،فهذه كلها لا زالت غير مستقرة على حال نهائي ،وذلك على عكس ما ذهب إليه المتحمسون القائلون بنهاية التاريخ) (٢) .

إن هؤلاء المتحمسين للعولمة نهجوا نفس الأسلوب الذي نهجه الماركسيون من قبل الذين كانوا يقولون :" إن المادية التاريخية هي القانون العلمي الذي حكم و سيحكم تاريخ الإنسان ،وأن الشيوعية هي القدر المحتوم الذي ينتظر العالم ،وأنها سوف تقضي على الرأسمالية و تحقق الجنة الموعودة على الأرض التي ستنتهي فيها سلطة الدولة ،ويعم الرخاء و الأمن و العدالة (٣) و النتيجة أن هذا الحلم الشيوعي لم يتحقق و استطاعت الرأسمالية أن تقضي على الشيوعية قضاءً مبرماً في عقر دارها .

يقول د. سعد الدين صالح في تحليله لهذه القضية :

" لقد تناس الجميع – العولميون و الماركسيون – أن التاريخ لا تحكمه قوانين الاقتصاد و لا توحيد الأسواق ،وإنما تحكمه إرادة الله ثم إرادة الإنسان و اختياره ورد فعله تجاه ما يواجهه من تحديات ،فقد سقطت الماركسية العلمية ،لأنها ليست علمية ،ولا إنسانية ،وربما تسقط العولمة للسبب نفسه

---

(١) د . مصطفى حجازي ،العولمة و التنشئة المستقبلية ،مجلة العلوم الإنسانية ، مرجع سابق ، ص٢٧.

(٢) المرجع السابق ص٢٨،ونظرية لهاية التاريخ قال بها "فوكوياما " وهو أستاذ أمريكي من أصل ياباني يعلن فيها بفرح ظاهرة سيادة وصلاحية الأيديولوجية الأمريكية بعد سقوط النموذج الروسي للاشتراكية . وقد انتقدت هذه النظرية وفندت لأن الأيديولوجيات لا تموت إلا بموت المجتمع البشري ،ومثلما أن كل شخص مائت حتماً لكن الإنسان باق ،فكل أيديولوجية مفردة تموت و لكن الأيديولوجية كمفهوم كلي باقية ،ومثلما يترك كل إنسان أثره في الدنيا بعد موته ،فإن كل أيدلوجية تترك أثرها في هذه الحياة ،بل تترك أثرها في الأيديولوجيات التي بعدها . أنظر العرب في عالم أحادي القطب ،سلسلة جدل ،دار كنعان للدراسات و النشر ،دمشق ،ص١٦٢ .

(٣) المرحوم د. سعد الدين صالح ، العالم الإسلامي و تحديات العولمة ،مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي ،٢٠٠١م ،ص ٢١٩.

فهـــي متوحشـــة و ليست إنسانية ،لأنها سوف تخلق مجتمعاً غليظ القلب أنانياً لا يعرف سوى قوانين السوق و القوة .

فالعولمـــة ليست نهاية التاريخ كما يقولون ،وإنما هي بداية الوعي العربي بحقيقة الأخطار التي تحدق به ، بل ربما تكون بداية للصراعات بين دول الشمال و دول الجنوب ،أو تكون بداية لتفكيك الحضارة الغربية إلى تكوينات قومية أو إقليمية متنازعة) (١) .

نعـــم فإنه رغم الكلام الذي يملأ الدنيا عن العالم الذي أصبح قرية كونية صغيرة ،وعن العولمة القادمة كالاعصـــار الـــذي يجـــرف أمامه المقولات القديمة حول الوطنية و الشعور القومي و المحافظة على الهويـــة ... و عـــن الهيمنة الامريكية ، و سيطرتها على مقدرات الشعوب خاصة في منطقة الشرق الأوســـط عن طريق الحليف الاستراتيجي لها و هي إسرائيل و هذه الأخرى قد جاوزت كل الحدود في طغـــيانها و تســـلطها علـــى الشـــعب الفلسطيني و شعوب المنطقة تحت الرعاية الأمريكية و الضغط الأمريكي على قادة الشعوب العربية .

أقـــول رغم كل ذلك فإن نظرة سريعة إلى دول العالم تؤكد أن النعرات الوطنية و القومية و العنصرية فـــي تـــنام و ازدياد ، و أن العالم يتجه سريعاً إلى الوراء و إلى العودة إلى النظام القبلي و العرقيات الضيقة .

فهـــناك انشـــطارات متوالية في النظام العالمي و اتجاه متزايد نحو الكيانات الصغيرة ، فقد علا صوت الأقليات في العالم تطالب بالاستقلال عن الوطن الأم ،وهناك كيانات عملاقة كالاتحاد السوفيتي السابق تفتت، بل إن التفتت لم يقف عند حد معين فقد أصبحت روسيا نفسها في الطريق إلى التفتت ، و نفس الكلام يقال عن يوغسلافيا و تشيكوسلوفاكيا و دول إفريقية وأخرى آسيوية مثل اليابان وأندونيسيا و ماليزيا كل هذه الدول في الطريق إلى الانشطارات النووية (٢) .

وهكذا نرى الخلاف قائماً بين القائلين بحتمية العولمة أو عدم حتميتها و يكاد الخلاف يكون شكلياً لأن الجمـــيع مـــتفقون على أن العولمة واقع قائم الآن و آثارها الإيجابية و السلبية ملموسة على الأرض ،والخلاف هو في استمرارها أو تراجعها .

و لعـــل السؤال الأهم الآن : ما هو موقفنا نحن العرب و المسلمين من تلك العولمة أو الهيمنة الأمريكية ؟

و هل استطعنا استيعاب فلسفة الخطاب السائد حالياً حول العولمة باعتبارها سمة العصر ؟

و هل استطعنا أن نفهمها ؟ هذا السؤال لا بد من تحديد أبعاده و نتبين واقعنا أولاً قبل أن نتساءل هل نقبلها أو نرفضها .

فالاجمـــاع قائم على أن ظاهرة العولمة تمثل تحدياً لنا و للعالم من حولنا وأنها تستحق أن يبذل فيها جهد جاد ودؤوب في محاولة فهمها و متابعة تجلياتها المتنوعة و سبل التعامل معها .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢١٩ ، ٢٢٠

(٢)د. عبد الفتاح الفاوي ، العولمة و موقف الإسلام منها ، محاضرة ألقاها في جامعة الإمارات ١٩٩٩م .

فمـا زلنا في مرحلة فهم هذه الظاهرة ، و استكشاف القوانين الخفية التي تحكم مسيرتها .. فهي في الحقيقة ظاهرة غير مكتملة الملامح و التقسيمات بل إننا نستطيع أن نقول إن العولمة عملية مستمرة تكشف كل يوم عن وجه جديد من وجوهها المتعددة (١) .

و كذلـك فإن الاجماع يكاد يكون قائماً أيضاً على أن موقف الانكار و الاستنكار غير مقبولين إزاء هذه الظاهـرة ويستوي معهما موقف الإندفاع و الهرولة للحاق بركب العولمة ،دون فهم حقيقة ما يجري وما يؤدي إليه هذا الاندفاع في نهاية المطاف .

لقد أغمض من يرفضون العولمة أعينهم و غفلوا أو تغافلوا عما يمكن أن تفتحه لنا العولمة من آفاق و تهيئه لنا من فرص ،وأنها لغة العصر و سمته ،لا يزيدنا إنكارها إلا انسحاقاً تحت أقدامها.

أمـا من يهللون للعولمة فقد انخدعوا بما اقترن بها من كثرة الحديث عن أشياء براقة تأخذ العقل ،من الديمقراطـية وحقـوق الإنسـان ، و القـدرة على التغلب على كل ما يعترض الإنسان من مشكلات اقتصادية أو ثقافية ..انخدعوا بهذا و بغيره مما نسمعه من شعارات براقة ، و كم يكون جميلاً لو كان كل هذا صحيح و لكن الواقع للأسف غير ذلك بل لعله عكس ذلك تماماً .

فالعولمـة تطرح علينا تحديات أهمها , التهميش الاقتصادي و التخلف الثقافي ، و الاختراق الثقافي و القيمي و الأخلاقي ، و محو الهوية .. ولكنها مع ذلك تيسر لنا وضعاً أفضل لتفاعل أكثف مع الآخر و تتيح لصوتنا أن يبلغ العالم المتقدم .

ولكـن هـل اغتنمنا تلك الفرصة أم بددناها وأهدرناها ،وهل باستطاعتنا المشاركة و التعامل مع هذه الظاهـرة بفاعلية أو اننا لا زلنا بعيدين عن المستوى المطلوب لخوض غمار المخاطرة بالانخراط في العولمة ؟

إن الأخـذ بتقنـيات العولمة أمر ضروري للدفاع عن البقاء و ضمان النجاح في المجال الاقتصادي و الثقافي ..،و لكن الاستفادة الفعلية من هذه التقنيات غير الممكنة من دون أن تقف وراءها استراتيجية ذاتية تحد من استخداماتها من قبل القوى العظمى لأهداف هيمنية (٢).

وهذا كله يتطلب منا مشاركة فعالة ،تترافق بإرادة وذاتية مستقلة و خصوصية تسعى إلى وضع خطط موضوعية تخدم أهدافنا التنموية على الصعيد المحلي و الدولي .

ولكـن قد يثير البعض تساؤلاً : هل مسموح لنا حقاً –نحن العرب – أن ننتمي إلى هذه العولمة وأن نكـون أعضـاء إيجابيـين فيها نشارك في صنع فاعليتها ، و يتساءلون أيضاً من قضى على الخلافة العثمانـية و مـن أنجـب ورعى الدولة الصهيونية في قلب جغرافيتنا و مول حروبها ضدنا و كرس تفوقها الاستراتيجي علينا والتزم بذلك علناً ؟

بـل مـن يساندهم الآن بعد أن تم التوصل إلى بعض الخطوات نحو السلام في مؤتمر "مدريد" و غيره .فـي نسف كل ما توصل إليه وإعلان حرب إبادة على الشعب الفلسطيني على يد الارهابي " شارون "

---

(١) د.سيار الجميل ، العولمة الجديدة و المجال الحيوي للشرق الأوسط ،مفاهيم عصر قادم ،الطبعة الأولى ،بيروت ،١٩٩٧م ،ص١٣ .

(٢) برهان غليون ،ثقافة العولمة ،مرجع سابق ،ص٢٩ .

، ووصـف ما يقوم به الشعب الفلسطيني من حقه في مقاومة الاحتلال بالارهاب ، وأن شارون رجل سلام و من حق الدولة اليهودية الدفاع عن نفسها .. ؟ ! .

بـل و الضـغط على رئيس الدولة الفلسطينية "ياسر عرفات " بالاعتراف و التصريح بأن ما يقوم به الشـعب الفلسـطيني ضـد الاحتلال (بخاصة المدنيين)إرهاباً و هل بين الصهاينة مدنيين ؟! ٠٠٠إلخ الأحداث المؤسفة في هذه الآونة .

- أبعـد هذا نطمح أن يكون لنا دور فعال في المنظومة الدولية ؟ ، فالأمل شيء والواقع شيء أخـر والعرب لم ينجحوا ــ مع الأسف حتى يومنا هذا ــ في إقامة سوق عربية مشتركة منذ الأربعينـيات حـتى اليوم ، كما لم يتصروا لاهدافهم القومية في تحقيق أي تكامل وحدوي أو الـتحادي أو تضـامني على مدى ستين عاماً تقريباً من تكوينهم المعاصر فهل يمكن بعد ذلك أحد أقطاب العالم الفاعلين ؟ !

هكـذا يسـتنكر البعض أو يستبعد إمكانية مشاركة العرب بدور إيجابي و فعال في المنظومة العالمية الجديـدة ، ولكـن ليس كل بعيد مستحيلاً فقديماً قال مصطفى كامل :" لا يأس مع الحياة و لا حياة مع الـيأس " و قـال أيضـاً: (و كـم من أمور كنا نستبعدها ولا ينبغي أن يثنينا الفشل مرة و مرة عن مواصلة الكفاح و العمل) .

فكما يقول الشاعر :

أمـا تـرى الحـبـل بـتـكـراره على الصـخرة الصـماء قـد أثـرا

أطلـب ولا تضـجر مـن مطلـب فآفـة الطالـب أن يضـجرا

أو كمـا قال غاندي : " لا أريد لبيتي أن تحيط به الأسوار من كل جانب إلى ان تسد نوافذه وإنما أريد بيتاً تهب عليه بحرية تامة ثقافات الدنيا بأسرها ،لكن دون أن تقتلعني إحداها من الأرض (١) .

فأن نموت واقفين و نحن نفتح النوافذ لإيجابيات العولمة خير من أن نموت تحت أنقاضها .

---

(١) علي ابراهيم ،المهاتما غاندي ،حياته و فكره ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ٤٨ .

المبحث الثالث : آثار العولمة و أهدافها الحقيقية :

للعولمة آثار إيجابية وأخرى سلبية شأنها شأن أي ظاهرة أخرى ، فمن أبرز إيجابياتها :

١- القضاء على الحماية و العزلة مما يضع الإنسان و الأوطان أمام تحديات المنافسة التي ترفع من مستويات الجودة في الأداء ، و تدفع إلى مواجهة التحديات و تستنفر الإمكانات .

٢- انفتاح الإنسان على الكون و توسيع أفق نظرته حيث أصبحنا بإزاء مرحلة جديدة من أنثنة الإنسان .

٣- توفير موارد المعلومات التي لا تنضب للبشرية ، مما يزيد من السيطرة على مصيرها (١) .

٤- أن العولمة ظاهرة تتصف بالشمولية لتعدد مكوناتها و اهتماماتها سواء الاقتصادية أو السياسية أو الاجتماعية أو الثقافية .

هذا عن إيجابيات العولمة أما عن سلبياتها وأخطارها و اهدافها الحقيقية فهي كما يأتي :

١- انعدام تكافؤ الفرص سواء في المعلومات و التقنيات أم في الحضور الإعلامي ، فالإعلام الفضائي متحيز كما هو معروف لبلاد مراكز التحكم فيه .

٢- احتكار المعرفة الخاصة بصناعة هذه التقنيات و منعها عن الدول النامية رغم كل إدعاءات السوق الحرة .

٣- أن العولمة تستهدف في النهاية إعادة هيكلة العالم من جديد أي إعادة صياغة جديدة له وفق سمات جديدة هي التداخل و التفاعل بحيث تصبح جميع وحدات النظام الدولي جزءاً و طرفاً مشتركاً في نسق العلاقات والتفاعلات القائمة في العالم وفق مخططات الدول المسيطرة وبما يستجيب لأهدافها ، و لتحقيق المزيد من السيطرة على العالم و التحكم فيه من خلال ترسيخ ظاهرة التبعية بين الدول المتطورة و الدول الأخرى ، و استمرار ظاهرة التخلف و الفقر في الدول النامية للحفاظ على استمرارية عمل قانون " البقاء للأقوى " ، فالعولمة أصبحت لعبة تصب بشكل رئيس في مصلحة الأقوى (٢) .

٤- أن العولمة لا تستهدف إيجاد نوع من العدالة للشرائح الاجتماعية الفقيرة و المعوزة ،وإنما خلق وإيجاد إمكانات أكبر للأغنياء من خلال المزيد من استغلال الفقراء .

فأسس العولمة الآن أو سياسة العولمة أنه ليس فيها مجال للاحسان و الالتزام بالقيم الإنسانية لا في السياسة الدولية و لا في السياسة المحلية ..

بل لا نبالغ إذا قلنا أن العولمة تستخدم كوسيلة لسحق كل ما هو قومي ووطني وإنهائه لصالح الإختراق الثقافي و الغزو الحضاري ، و تغريب الشعوب و تهميشها ، و تنميط العالم وفق منظورالدول المهيمنة و مخططاتها و أهدافها ، وذلك بسحق الهوية القومية ، و المصالح القومية ، والثقافة القومية (٣) .

---

(١) د.مصطفى حجازي ، العولمة و التنشئة المستقبلية ، مرجع سابق ، ص ٢٨ .

(٢) د.هانس بيتروهارولد شومان ،فخ العولمة ،ترجمة د.عدنان عباس ،نشر المجلة الوطنية للثقافة ،الكويت ،١٩٩٨ ، ص ١٣ .

(٣) د. ماجد شدود ،العولمة ، مفهومها ، مظاهرها ، سبل التعامل معها ، ٩٩٨٩ م ، ص٢٦ .

٥ . تسعى العولمة لحل مشكلة الوفرة المالية الموجودة في الدول الكبرى ، ذلك أن هذه الدول أصبح لديها فائض كبير من رؤوس الأموال التي لا تجد مجالاً لاستثمارها ، و هذا ما يؤدي إلى العجز في ميزان المدفوعات ، كما أن استثمارها هناك لا يعطي سوى عوائد منخفضة ، و من هنا تتجه دول الغرب إلى دول العالم النامي لكي تحول أموالها إلى اصول ثابتة حيث تدفع هذه الدول الفقيرة إلى بيع شركاتها و مؤسساتها الانتاجية بأرخص الأسعار للمستثمر الأجنبي .

٦ . تهدف العولمة إلى العمل على التذويب الحضاري لسائر الحضارات التي تحمل قيماً مضادة لقيم الحضارة الغربية و لا سيما الحضارات الشرقية مثل الحضارة الإسلامية و الحضارة الصينية فهذا ما دعى إليه الكاتب الأمريكي (صموئيل هانتنجتون) حين قال :" إنه لا مجال ولا إمكانية للتعايش مع الحضارة الإسلامية لأنها تختلف عن الحضارة الغربية ، وإن المواجهة التي انتهت ضد الحزب الشيوعي تركت فضاءً مفتوحاً أمام مواجهة جديدة لا تكون إلا مع الغرب و قيمه ، والإسلام الذي هو غير قيم الغرب ، بل هو مغاير للحضارة الغربية و لحقوق الإنسان ، و لسيادة الحق و النظم الديموقراطية تجب مقاومته (١) .

بل إن الرئيس الأمريكي (جورج بوش الابن) صرح في أعقاب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠٢ بعد الهجوم على مركز التجارة العالمي ، و مبنى وزارة الدفاع " البنتاغون " بأن الإسلام دين إرهابي ، يجب محاربته ، ودعى إلى شن الحرب على من سماهم إرهابيين ومن يمولهم و من يرعاهم أو يتستر عليهم ، ومن ليس مع أمريكا .

و قد بدأت هذه الحرب المعلنة من قبل أمريكا بالفعل و تم تدمير أفغانستان بحجة إيوائها "أسامة بن لادن " زعيم تنظيم القاعدة المتهم الرئيس في أحداث سبتمبر ، وأعلن بعد ذلك أن هناك دولاً تدخل تحت ما يسمى بدول "محور الشر " وأن الدائرة ستدور عليهم من هذه الدول العراق و روسيا وإيران و الصين ..

الأمر الذي أحدث قلقاً عالمياً تجاه نوايا أمريكا و حليفتها المملكة المتحدة (انجلترا) .

و هكذا نلاحظ أن أهداف العولمة و فوائدها تصب في مصلحة الدول الكبرى و على رأسها أمريكا التي تقود المعسكر الغربي ، و هذا يستلزم من العرب و المسلمين أن يوحدوا مواقفهم ، و يعملوا على تحقيق الحلم العربي بإيجاد سوق عربية مشتركة تحقق التكامل الاقتصادي ، و الذي من خلاله تستطيع الدولة العربية أن تتفاعل مع العولمة و توقف تيارها الجارف ، بدلاً من تذويب تلك الدول الواحدة تلو الأخرى في تيار العولمة و الشركات العملاقة و المتعددة الجنسيات التي تدعمها بنوك ضخمة رأس مال البنك الواحد فيها يساوي رأس مال البنوك العربية مجتمعة .

كما يجب على العرب والمسلمين أن يحافظوا على هويتهم الثقافية و يعملوا على تفعيل الدور الإيجابي الذي يمكن أن تقوم به الهيئات الثقافية و دور العلم و الهيئات التربوية في مواجهة العولمة و هذا الدور الذي ينبغي أن يقوموا به سنلقي عليه الضوء ، بعد تحديد مفهوم الثقافة و طبيعة تكوينها .

---

(١) صموئيل هانتنجتون ،صدام الحضارات ، إعادة صنع النظام العالمي الجديد ،ترجمة طلعت الشايب ،القاهرة، ١٩٩٨ م، ص٥٩ .

في هذا المبحث نتحدث عن محورين أساسين هما :

ـ مفهوم العولمة وطبيعة تكوينها .

ـ العولمة والهوية .

أولاً : مفهوم الثقافة وطبيعة تكوينها :

العلاقة وثيقة بين الثقافة والإنسان ، فإذا كان البشر العنصر الفعال للبناء الاجتماعي ، فإن الثقافة هي حال هؤلاء البشر ، كيف يعيشون ، وما هي اعتقاداتهم ، وفي أي شيء يفكرون لتحسين مستوى معيشتهم ، ومن ثم كانت الثقافة والإنسان وجهين لعملة واحدة .

فمصطلح الثقافة ظهر لتلبية حاجة الإنسان (لمصطلح يصف الجوانب المشتركة لبعض أنواع السلوك المتطورة لدى الإنسان ، فالإنسان يتميز بتنوع فعلي وواضح في أنماط السلوك ، ونتيجة لهذا التنوع في السلوك ، استخدمت الثقافة لوصف الخصائص المشتركة بين الثقافات ونتيجة لهذا التنوع السلوكي أيضاً ظهر التنوع الثقافي الذي نطلق عليه مصطلح النسبية الثقافية ، أي اختلاف الثقافة من مجتمع لآخر) (١) .

ولقد حاول كثير من العلماء والكتاب تعريف الثقافة تعريفاً جامعاً فلم يتمكنوا من ذلك لأن الثقافة متعددة الجوانب ، فللزراعة ثقافة ، وللصناعة ثقافة ، وللتجارة ثقافة ، ومن ثم يصعب تعرفها وتحديدها .

ولعل أكثر التعريفات شيوعا للثقافة هو إدوارد تايلور : الذي يعرفها بأنها : كل مركب تشتمل على المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والعرف وغير ذلك من الإمكانات أو العادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في المجتمع(٢) .

ويعرفها الدكتور عصام نجيب بأنها :

(تكوين مفاهيمي مركب يدل على ما اكتسبه الإنسان العاقل تراكمياً من أساليب وسلوك مادية ومعنوية متطورة باستمرار ، يستخدمها في اتصاله بالواقع الاجتماعي الذي يعيش فيه ، وتضم أساليب السلوك هذه سمات نفسية ، وعناصر أدائية متعددة يمكن تصنيفها حسب متعلقات الذات الإنسانية والكفاية الاقتصادية والعلاقات الإنسانية والمسؤولية المدنية والتعامل مع المعلومات) (٣).

وتبرز الثقافة القومية لأي دولة من دول العالم على أنها وعي وإبداع وقدرة على التكييف والتفاعل ، وليست ظاهرة عرضية أو مجردة ، بل هي ظاهرة مقصودة وملموسة تعبر عن نفسها

---

(١) د. علیان عبدالله الخولي ، دور ووسائل الإعلام في تعزيز الثقافة العربية ، بحث في كتاب "العولمة والهوية" منشورات جامعة فيلادلفيا ، ١٩٩٩ ، ص ٣٤٣

(٢) إدوارد تايلور ، الثقافة البدائية ، نقلاً عن : كامل أبوصالر ، العولمة التجارية . رؤية إسلامية ، دار مكتبة الهلال ، دار الوسام ، بيروت ، ٢٠٠٠ م ، ص ٣١٨ .

(٣) عصام نجيب ، الدور الثقافي للجامعة بين خصوصية الحداثة وتنافسية العولمة ، ضمن كتاب (العولمة والهوية) منشورات جامعة فيلادلفيا ، مرجع سابق ، ص ٢٢٢

بتجلـيات متعددة ، تكونت نتيجة مسار تاريخي طويل من خلال تفاعل عوامل موضوعية مثل ، البيئة الجغرافية ، والدين ، واللغة ، والعادات والتقاليد ، والتاريخ المشترك والأهداف .

وتصـبح هـذه الـثقافة نـتاجاً لفاعلـية هذا الشعب أو هذه الأمة ، وتعبيراً عن هويتها القومية والحضارية وإبداعها الفكري والمادي المستمر .

وبحكم التواصل الثقافي والحضاري بين الأمم والشعوب ، فإن الثقافة القومية لأية أمة لا يمكن أن تكون في معزل عن عملية التفاعل الثقافي مع الثقافات الأخرى ، بل إن الثقافات في حالة من التفاعل والتأثير والتأثر المتبادل في وحدة العام العالمي والخاص والقومي(١) .

والـثقافة لا تقـف عـند حـد بل إنها تنمو وتطور بنمو المجتمعات وتطورها ، وهي بمعناها الشامل الواسع تشتمل على كل ما له صلة بتنظيم حياة الفرد من المهد إلى اللحد .

مكونات الثقافة :

بغـض الـنظر عن المستوى الذي وصلت إليه الثقافة فكل ثقافة لها مكونات أربعة ــ كما أوردها الدكتور"مصطفى عمر التير" في بحثه (الثقافة العربية والغزو الثقافي ، صراع وجـــود) (٢).

١. نسق للمعتقدات
٢. عناصر معرفية
٣. نسق القيم
٤. عناصر رمزية

حيـث يرى أن الثقافة الغنية المتطورة هي الثقافة التي تكاملت فيها مكونات هذه العناصر كما هو الشأن في الثقافة العربية ، فالمعتقد الديني موجود ولا يحتاج إلى تجديد أو تحديث في مصدره ومنشأه .. والعناصر الرمزية التي تعني اللغة بصورة خاصة يحق للعرب أن يفتخروا بها ، فلا أحد ينكر غنى اللغـة العربية بمفرداتها وقواعدها وإمكانية تطورها ومسايرتها لروح العصر ، كما أن النسق القيمي العربـي لـم يترك لا شاردة ولا واردة من القضايا التي تتعلق بتنظيم حياة اجتماعية تتمشى مع روح الديـن الإسلامي وقيمه العليا ، وأما العناصر المعرفية والتي تشير بصفة خاصة للكيفية التي تنظم بها الثقافة المعارف في المجالات المختلفة ، فتاريخياً ساهم العرب بنصيب كبير وهام في تطوير المعارف العلمـية ، فلهـم ينسـب الفضل في ابتكار المنهج التجريبي ومناهج البحث العلمي وقد أخذت أوروبا عـنهم هـذا المنهج ، ونموه وطوروه ووصلوا من خلاله إلى ما هم عليه الآن من تقدم تقني وعلمي وتكنلوجي .. الذي كان سبباً مباشراً من أسباب ظهور العولمة .

---

(١) د. ماجد شدود ، العولمة ، مفهومها ، مظاهرها ، مرجع سابق ، ص ١٢٨ ــ ١٢٩ بتصرف .

(٢) المرجع المذكور نشر في مجلة شؤون عربية ، العدد ٨٥ ، ١٩٩٦ ، ص ٤٨ .

ثانياً : العولمة والهوية الثقافية :

تبدو للوهلة الأولى أن العولمة موجهة نحو مقاصد المال والاستهلاك والأشياء المادية، لكن واقع الأمر هو أن سلاح العولمة الحقيقي موجه نحو عقلية الأنسان أياً كان موطنه أو لغته أو عقيدته ، فهي غزو ثقافي بأكمله لأنها موجهة نحو عقلية الانسان بفضل حيازتها على معرفة منظمة ووسائل تقانية فاعلة .

وبينما يذهب بعض الباحثين إلى أن العولمة الثقافية ما هي إلا تلوث ثقافي يجب أن نعطيه اهتماماً أكبر من اهتمامنا بتلوث البيئة والطبيعة فنحن لن نبلغ مرحلة متقدمة من التصنيع الذي هو من أهم مسببات التلوث البيئي ولكنا بالتأكيد بلغنا مرحلة متقدمة جداً من استيردا الأجهزة الإعلامية وتكنلوجيا الاتصالات ودخلنا عالم الفضائيات .. التي لها الأثر الكبير في تلويث ثقافتنا وعقولنا وفقدان هويتنا الثقافية لذاتيتها .

يذهب البعض الآخر إلى عكس الكلام السابق فيرى أن أي ثقافة تزدهر وتنشط بقبول الآخر ، والثقافة العربية وصلت إلى قمة إزدهارها في بعض عصورها لأنها قبلت ثقافة جميع الأمم في تلك العصور ، وتصاهرت معها تصاهراً فكرياً وعملياً .. وعليه فيجيب ألا نتعامل مع العولمة الثقافية من موقف التوجس والرفض والعدوانية دائماً ، لأننا بذلك نكون قد شجعنا التقوقع والتراجع إلى الذات دون أن نستفيد من التفاعل الحضاري الضروري لتطور الثقافات وتطور الحضارات(١) .

إن عبارة العولمة والهوية الثقافية لا تعني التناقض بين العولمة من جهة والثقافة القومية من جهة أخرى قياساً على مفهوم البعض لقولنا : " الأصالة والمعاصرة متصوراً أن الأصالة نقيض للمعاصرة ، أو كما نشب الجدل بين المثقفين في أوائل القرن العشرين ــ كما يرى الأستاذ الفريد فرج ــ بين دعاة إنشاء الجامعة الأهلية في مصر سنة (١٩٠٨ م) ودعاة التوسع في أنشاء الكتاتيب ومحو الأمية في الريف آنذلك أي بين دعاة التنمية الرأسية ودعاة التنمية الأفقية للتعليم...

قد يميل الجدل في عاداتنا الفكرية في مثل هذه الأحوال إلى دعوتنا للاختيار النافي للوجه الآخر من المسألة ، كاختيار الأصالة ونفي المعاصرة ، أو العكس ، واختيار التنمية التعليمية الرأسية ونفي التنمية الأفقية فهما وجهان للعملة الواحدة ، وأحدهما ينطوي بالضرورة على الآخر .

فالذي نخشاه هو أن نضع قضية العولمة والهوية الثقافية الموضع نفسه ونكلف أنفسنا بالاختيار بينهما كما لو كنا أمام نقيضين وجود أحدهما ينفي وجود الآخر .

ومن ثم فإن افتراض اختيارنا تثبيت الهوية الثقافية القومية عن طريق نفي العولمة إفتراض غير ممكن ولابد من تصور المحافظة على هويتنا الثقافية في إطار التعامل مع ظاهرة العولمة(٢) .

---

(١) السيد يس وآخرون : العرب والعولمة : مرجع سابق ص ٣٥٧ .

(٢) الفريد فرج ، العولمة في مرآة الثقافة القومية . مقال بجريدة الأهرام ١٩٩٨/١٠/١٥ م ، من كتاب العلمانية والعولمة والأزهر ، د.كمال الدين عبدالغني المرسي ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٩م ، ص ١٢٧

نعم جاءتنا العولمة ونحن في أسوأ حالات الاستعداد للاستفادة منها ولكن هذا لا يعني الهروب منها بل يعني مضاعفة الجهد منا في تنشيط الثقافة والعلم وبصفة خاصة العلم الشرعي(١) أولاً ، ثم العلم التجريبي بأن يكون لنا دور في تصنيع التكنلوجيا ، والمشاركة بفاعلية في مجال الاتصالات والإعلام المسموع والمقروء والمشاهد ، وبصفة خاصة المشاهد عبر القنوات الفضائية وشبكة المعلومات (الانترنت) .

فليست العولمة استعماراً يطرد من بلادنا بالمظاهرات والعمليات الفدائية ، كما طرد الاستعمار القديم ، ولكنها ظاهرة تفوق علمي بالأساس الأول ، فكل متفوق علمياً عضو طبيعي في العولمة ، وشريك غير قابل للطرد ، ومشاركته تكون على قدر ابداعه وتفوقه .

إن وجود العلم عند المهزومين في الحرب العالمية الثانية (ألمانيا واليابان) أبقاهما قائمتين على الأقدام ومشاركتين في النظام العالمي الجديد بفعالية .

والفرصة لا زالت موجودة أمامنا خاصة وأن العولمة وإن كانت ظاهرة موجودة بالفعل لكنها لم تكتمل بعد ولم تتبلور بعد كنظام ، والهوية الثقافية كيان يغيِّر ويتطور وليس معطىً جاهزاً ونهائياً ، وهي تتطور إما في اتجاه الانكماش والتلاشي ، وإما في اتجاه الانتشار والزيوع ، وهي تغتنى بتجارب أهلها ومعاناتهم ، وانتصاراتهم وتطلعاتهم ، وأيضاً باحتكاكاتهم سلباً وإيجاباً مع الهوايات الثقافية الأخرى التي تدخل معها في تغاير من نوع ما .

والطريق الصحيح الذي يجب أن نسلكه هو الإفادة من إيجابيات العولمة وتفادي أضرارها ، والتلقيح بما تحمل من أكسير التقدم والتمكين ، فحاجتنا إلى الدفاع عن هويتنا الثقافية لا تقل عن حاجتنا إلى اكتساب الأسس والأدوات التي لا بد منها لممارسة التحديث ودخول عصر العلم والثقافة ودخول الذوات الفاعلة وليس دخول الموضوعات المنفعلة .

والوقوف في وجه الأخطار التي تنطوي عليها العولمة يتطلب أكثر من التنديد بتلك الأخطار، وذلك بأن نتصدى لتحديات العولمة بإيجاد الحلول لكثير من المشاكل المنهجية والعلمية والتقانية ... التي تجعلنا قادرين على المشاركة والتفاعل بإيجابية بدلاً من التخاذل والاستسلام وإنكار الواقع الذي نعايشه ونفي أي خطورة تأتي من الغير ، أو معادات كل ما يأتي من الغير .

ولكن ما هي أهم تحديات العولمة لثقافتنا العربية الإسلامية ؟ هذا ما ستوضحه في المبحث الآتي .

---

(١) وأقصد بالعلم الشرعي : علم أصول الدين وفروعه ، من العقيدة والأخلاق والقيم ، وأصول الفقه والفقه والتفسير وعلوم القرآن والحديث وعلومه ... إلخ ، ومقصودنا هنا أن نمكن أولادنا من العلوم هذه قبل اهتمامنا بالعلوم الدنيوية ، لأن العلم الشرعي أساس لغيره ونزرع في أولادنا قيم الدين الإسلامي فيكون بحثهم في العلوم الأخرى مؤسساً على التقوى والورع وبذلك نحفظهم من موجات الإلحاد التي تروج لها التيارات والفلسفات الفكرية المعاصرة .

المبحث الخامس : تحديات العولمة لثقافتنا العربية الإسلامية:

تتعرض الثقافة العربية الإسلامية لخطر كبير بفعل ظاهرة العولمة ، إذ تمثل العولمة الثقافية أخطر التحديات المعاصرة لثقافتنا العربية ، وهذه الخطورة لا تأتي عن الهيمنة الثقافية التى تنطوي عليها العولمة فحسب ، وإنما عن الآليات والأدوات التي تستخدم لفرضها ،فالعولمة ظاهرة تقفز على الدولة والوطن والأمة وتعمل على إضعاف الدولة والتخفيف من حضورها ، مما يقود إلى استنهاض الأطر التقليدية السابقة على الدولة ،كالانتماء للقبيلة والطائفة والتعصب المذهبي بقصد تمزيق المجتمع والقضاء على الهوية القومية والوطنية(١) .

فالصراع مع العولمة بشكل عام وعولمة الثقافة بشكل خاص يعد تعبيراً عن مشاعر الخوف والقلق على هويتنا الثقافية وإدراك واقعي لمخاطر هذه الظاهرة على خصوصية الثقافة العربية الإسلامية ، وأن الكشف عن حقيقة الواقع الذي تعيشه ثقافتنا في ظل تحديات العولمة ، في الوقت الذي ينطلق من ضرورة حماية ثقافتنا من مخاطر هذه الظاهرة ، يساعد كثيراً على تشخيص هذه التحديات وأساليبها ومشاكلها ، وطرق مقاومتها وسبل الرد عليها.

ومن خلال استقرائنا لمعطيات واقع العولمة يمكننا التوصل إلى أهم تحديات العولمة لثقافتنا وسيكون التركيز في هذه الدراسة على تحديين أثنين يعتبران الأهم من وجهة نظرانا وهما :-

- تحدي المحافظة على الهوية الثقافية .
- تحدي المحافظة على التنوع الثقافي .

أولاً:- تحدي المحافظة على هويتنا الثقافية في ظل العولمة :

يعد الاختراق الثقافي من أبرز الأساليب التي تتبعها قوى العولمة الثقافية في صراعها مع ثقافتنا العربية والإسلامية ، حيث أن تدفق المعلومات عبر تقنيات المعرفة الحديثة ، والإعلام والثقافة ، لا يقصد منه إلا بث وإشاعة مفاهيم جديدة في أوساط المثقفين العرب ، وبالتالي التوغل إلى منظومة القيم والمبادئ والمفاهيم الأساسية للثقافة العربية ، وزعزعة القناعات بها ، والترويج لقيم ومبادئ ومفاهيم قوي عولمة الثقافة التى تتركز حول تعميم الثقافة الغربية الوافدة وبصفة خاصة الثقافة الأمريكية .

---

(١) د. محمد عابد الجابرى ، قضايا الفكر المعاصر ،مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ط ١ ، ١٩٩٧ ، ص ١٤٩.

ومما لا شك فيه أن الاختراق الثقافي كما يري د/ حسين علوان ، يمثل أحد المداخل المهمة لاقتحام عقول المثقفين العرب والمخاطبة الفكرية معهم ومن ثم التأثير في قناعاتهم بالأسس والمرتكزات الجوهرية التاريخية للثقافة العربية(١) .

فالدول الغربية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ، تسعي الأن في إطار ظاهرة العولمة إلى استخدام الثقافة أداة فاعلة لفرض سيطرتها وهيمنتها على العالم أمماً وشعوباً وذلك (من خلال العمل على تقويض قانونية تعدد الثقافات في العالم لصالح نموذج معين ، وهو ثقافتها المعممة ، التى تحمل قيمتها وعاداتها وتقاليدها وأنماط حياتها المختلفة مما يعود بالضرر الكبير على ثقافات الأمم والشعوب الأخرى)(٢) .

فثقافة العولمة تستهدف إبعاد الناس عن واقعهم الاجتماعي وتسطيح الوعي الاجتماعي ،واختراق الهوية الثقافية للأمم والشعوب وتعميم القيم الاستهلاكية(٣) .

وإذا كان من حق كل دولة أن تحافظ على سيادتها القومية والتي تعرف بأنها (السلطة العليا التى يملكها أعلى هيئة في الدولة تمارسها باستقلال محدد عن كل سلطة أخرى داخلية أو خارجية)(٤) .

أو كما عرفها د. إبراهيم أبو خزام ،بأنها : (حق الدولة في التحكم بإقليمها بكل مشتملاته دون الخضوع لسادة من نفس طبيعتها)(٥) .

وإذا كانت ثقافة الدولة وهويتها الثقافية جزء من كيان الدولة الوطنية وسيادته ،إذ إنه هو الوعاء – الجغرافي والسياسي – الذي تتعبأ فيه ثقافة مجتمع ما فتصبح ثقافة وطنية – ولا ينبغي أن يفهم بالضرورة أن الدولة تخلق الثقافة الوطنية ، بل هي تساعد على ذلك متي أمكنها أن تحيط الحياة الثقافية والنظام الثقافي بأسباب الحماية من التحقق الطبيعي والتجدد ، أما الثقافة فهي تنهل – في الأساس – من مصادر مرجعية اجتماعية متجددة المخزون)(٦) ، وكذلك مصادر دينية وأخلاقية ثابتة بثبات مصدرها ... الخ .

فالدولة إذن هي فقط التى لها السيادة على ثقافتها ، وبالتالي فإن أي تدخل خارجي يمس ثقافتها ، هو تدخل مباشر في سيادة الدولة عموماً ، واختراق لسيادتها الثقافية بوجه الخصوص .

---

(١) د . حسين علوان حسين ، العولمة والثقافة العربية ، بحث منشور في أوراق المؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب والفنون (الثقافة العربية بين العولمة والخصوصية) ، وهو ضمن كتاب (العولمة والهوية) منشورات جامعة فيلادلفيا مرجع سابق ص ١١٩

(٢) د.ماجد شدود ، المتغيرات الدولية ومستقبل النظام الدولي ، الطبعة الأولي ١٩٩٨ ، ص ٢٢٧

(٣) د. ماجد شدود ، العولمة مفهومها ، مظاهرها ،سبل التعامل معها ، مرجع سابق ،ص ١٣٠

(٤) د.خليل إسماعيل الحديثي ، المعاهدات الغير متكافئة المعقودة في وقت السلم ، دراسة قانونية ،سياسية ، مطبعة جامعة بغداد ،١٩٨١ ،ص ٢٠ .

(٥)راجع كتابه ، العرب وتوازن القوى في القرن الحادي والعشرين ، دراسة لواقع القوي العظمي وانعكاسات هذا الواقع على الوطن العربي ،١٩٩٥ ، ص ٤٥٠

(٦) د.باسم خريسان ،العولمة والتحدي الثقافي ، مرجع سابق ص١٢٠ ،١٢١

ومـــع بـــروز العولمة ظهر الجدل الفكري حول التحدي الذي تفرضه العولمة للسيادة الثقافية للدولة القومية ، فكما أن العولمة تدعو إلى سوق بلا حدود في الناحية الاقتصادية ، فهي تدعو أيضاً إلي ثقافة بلا حدود ، وبفضل التطور الثقافي أصبحت الشبكات الجديدة للاتصال الدولي مترابطة بصفة مـــتزايدة ، وهي بذلك تتجاوز الحدود الجغرافية لسيادة الدولة بسهولة وتفتح فضاءً جديداً للاتصال ، وبهـــذا فقد ولي (العهد الذي كان ينظر فيه إلى العالم على أنه مجموعة من الفضاءات المستقلة سواء أكانت هذه الفضاءات أمماً متخيله أو أقاليم ضمن أمم معينه ، وثقافات تفصل بينها الحدود(١) .

وهذا الأمر قد حدا ببعض الباحثين للدعوة إلىإعادة النظر بالمفهوم التقليدي للسيادة أو الهوية(٢) ، وذلـــك لأن أخطـــر ما تحمله ثورة الاتصالات هذه هو (فقدان الاستقلال الذاتي والهوية الثقافية للبلدان والأشـــخاص فـــإذا كان مفهوم السيادة قابلاً للنقاش من حيث ضرورة تبدل مفهومه التقليدي لمصلحة جماعـــية دولية فإن ثورة الاتصالات ستطيح بحق من أقدس حقوق الشعوب وهو الحفاظ على هويتها وحقها في الاختلاف الذي يعطيها شعوراً بالكرامة والعزة)(٣) . وذلك لآن الدولة القومية ستجد أكثر مـــن طرف يشاركها في التأثير على ثقافتها القومية ، وبالشكل الذي قد يفقدها الكثير من خصوصيتها الثقافية التى تسعي إلى الحفاظ عليها .

والـــذي يشغل المهتمين بالدفاع عن الهوية الثقافية للدولة القومية هو أن الثقافة الغازية المخترقة (تنـــتهك) المحظـــورات الثقافية ليست فقط فيما تقدمه من تصرفات اجتماعية غير مقبولة ، وعنف ، وجـــنس ، ولكـــن أيضاً فيما تقدمه من خلال تقديم أساليب جديدة للتعامل ، وعادات استهلاكية وتمرد على سيطرة الأسرة(٤) .

ولعل الهدف المركزي للاختراق الثقافي الذي تتمحور حوله ثقافة العولمة هو خلق حالة من التقبل لـــنمط الـــثقافة الأمريكية ، و نشر مبادئه ومفاهيمه في إطار المجتمع العربي والإسلامي وفي أوساط المثقفيـــن العـــرب المســـلمين على وجه الخصوص ، من أجل النيل من خصوصياتهم الثقافية وتدمير هويتهم القومية(٥) .

ثانياً : تحدي المحافظة على التنوع الثقافي في ظل التذويب الثقافي الذي تفرضه العولمة:

إذا كانـــت المحافظـــة علـــى الهوية الثقافية حق للأمم والشعوب فإن المحافظة على التنوع الثقافي لايقل أهمية بل هو مكمل لعملية الحفاظ على الهوية ، وموضوع التنوع الثقافي لا يزال موضع اهتمام المفكرين والكتاب خاصة وأن (التحديات المصيرية التي أصبحت تشغل الإنسان المعاصر تهم ركيزتين

---

(١) انظر : تركي الربيعي وزكي الميلاد ، الإسلام والغرب : الحاضر والمستقبل ، حوارات لقرن جديد ، إعداد تحرير ، عبد الواحد علواني ، بيروت ، دار الفكر المعاصر ،١٩٩٨،ص ١٩

(٢) السيد يس ، صياغة الهوية وعولمة الخيال القرن الحادي والعشرين ، مجلة المنتدى ، العدد ١٤٧ ، ١٩٩٧ ، ص ٨ .

(٣) د. ابراهيم أبوخزام ، العرب وتوازن القوى ، مرجع سابق ، ص ٤٥٠ .

(٤) د. جيهان أحمد رشتي ، الآثار الثقافية عبر الأقمار الصناعية ، في كتاب الثورة التكنولوجية ووسائل الاتصال العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٩٠ ، ص ١٦٨ ــ ١٧٠ .

(٥) د. حسين علوان ، العولمة والثقافة العربية ، ضمن كتاب (العولمة والهوية) ، مرجع سابق ١٢٠ .

أساسيتين لاستمرار الحياة : التنوع البيولوجي والتعدد الثقافي ، فالتجانس الثقافي هو بمثابة إبادة ثقافية واقتراض الإنسان ثقافياً ... لذلك فإن التعددية الثقافية تعتبر ثروة كبيرة يجب على الإنسانية الحفاظ عليها . وتعدد الحضارات هو أفضل ضمانة لقدرة الإنسان على ابداء أجوبة مناسبة للتحديات المختلفة)(١) .

وهذا ما أكده أمين عام المنظمة الفرانكفونية قائلاً : "إن التعددية الحضارية والتعددية الثقافية والتعددية اللغوية هي ركن من أركان الديموقراطية الدولية ، وإذا سيطرت حضارة واحدة ولغة واحدة فهذا سيؤدي إلى نظام شمولي يحكم العلاقات الدولية ، وبالتالي سيكون لدينا على مستوى العلاقات الدولية نظام شمولي وعلى مستوى الدولة نظام ديمقراطي"(٢) .

والتنوع الثقافي نظراً لأهميته واعتباره حقاً للشعوب ، أشارت له اليونيسكو في إعلانها الصادر في نوفمبر ١٩٦٦ م حيث نصت المادة الأولى منه على أن (لكل ثقافة كرامة وقيمة يجب احترامها ومن حق كل شعب ومن واجبة أن ينمي ثقافته ، وتشكل جميع الثقافات بما فيها من تنوع وخصب وما بينها من تباين وتأثر متبادل جزءاً من التراث الذي يشترك في ملكيته البشر جميعاً)(٣) .

إنه مع احتمال تعميم العولمة فإن الخطر الذي سيلحق بمجتمع الجنوب ليس بمنأى عن المجتمعات الغربية الديمقراطية أيضاً ، وهو خطر تماثل الفكر وتراجع أداء هياكل المجتمع المدني قياساً بدولة السوق وديكتاتورية النفع ، والنتيجة المحتملة هي تماثل الأذواق ، وتشابه الاستهلاك ، وتراجع الاختلاف الخلاّق وهو عنصر من عناصر توازن الكون ، وسنة من سنن الله فيه كما قال الله تعالى (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم)(٤) .وهذا يعني أن ثمة أزمة ثقافية عالمية تريد القضاء على التنوع الثقافي في سبيل نمطية ثقافية واحدة ، لذلك نرى أن كثيراً من الأدبيات الغربية تندد بخطر التهميش الثقافي وتهديده للتنوع الثقافي ، فنجد "إدوار غاليتو" كما نقل عنه د. باسم خريسان تقول: (في العولمة تحل الأسواق محل الشعوب ، والمستهلكين محل المواطنين ، والمشروعات الصناعية محل الأمم ، والتجمعات محل المدن ، والمزاحمة التجارية محل العلاقة الإنسانية. ثم إن العولمة تصميم قسرى لنموذج معادي للتعددية والتنوع الثقافي ، يلغي التمايز والشخصية الثقافية ويروج عن طريق وسائل الإعلام لقيادة قوانين السوق وقيم المجتمع الليبرالي الرأسمالي ولفرض ديكتاتورية الكلام الوحيد والصورة الوحيدة والنمط الواحد من الحياة ويحول الإنسان إلى مجرد مستهلك مستلم ومشاهد متلق ...)(٥) .

---

(١) محمد سعيد ، تقرير عن الندوة الدولية : إشكالية التواصل الحضاري بين الشرق والغرب ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٢٣٣ ، سنة ١٩٩٨ ، ص ٥٧ .

(٢) د. بطرس بطرس غالي ، هدف الفرانكفونية الدفاع عن التعددية الثقافية ، لقاء العدد ، اعداد سوسن حسين ، مجلة السياسة الدولية ، العدد ١٣٣ ، ١٩٩٨ ، ص١٥٤ .

(٣) باسل يوسف ، حقوق الإنسان بين العالمية والعولمة السياسية ، مجلة الموقف الثقافي ، العدد ١٠ ،١٩٩٧ ،ص ١٥٥، وراجع أيضاً د. باسم خريسان ، العولمة والتحدي الثقافي ، مرجع سابق ، ص ١٣٩ ، ١٤٠ .

(٤) سورة الروم : الآية ٢٢

(٥) إدوارد غاليتو ، الموند دبلوماتيك ،العولمة ، عدد كانون الثاني ، ١٩٩٦ ، نقلاً عن المرجع السابق ، ص ١٤٨

وهـذا ما يؤكده "لاروني جان ديبوى" بقوله : (ما يؤخذ على العولمة تنميطها للأخلاق وقضاؤها على الثقافات لصالح تكوين حضارة مادية تكرس هيمنة وسيطرة الأطراف القوية وهو ما يثير رد فعل قوي من جانب الهويات الوطنية)(١) .

هـذا جانـب من تعليقات الكتاب الغربيين أنفسهم الذين ينددون بتهميش التنوع الثقافي الذي تحدثه العولمة خشية منهم على هويتهم الثقافية وحرصاً على التنوع الثقافي في العالم .

بـل إن رفض التماثل أو (التجانس) الثقافي الذي يعني تذويب الثقافات المختلفة في ثقافة واحدة لم يقتصـر على أوروبا فحسب بل تعداهم إلى دول أخرى كاليابان ، فهي وإن كانت محسوبة على الغرب إلا أنهـا حذرت أيضاً من أن (العولمة يجب ألا تفرض نموذجاً عالمياً أو أحكاماً متماثلة كالأحكام التي تحكـم الحركة العالمية للمال والاقتصاد والتي انتشرت في الولايات المتحدة وأوروبا الشرقية وأجزاء مـن إفريقـيا والتـي حـتماً سوف تنتشر إلى كل أجزاء العالم ، لهذا فالعالم سوف لايصبح متجانساً اقتصـادياً أو ثقافـياً ، فاليابان لذا تتمسك بخصوصيتها أو بهويتها وقيمها الثقافة وتسير يداً بيد مع العولمة)(٢) .

وإذا كانـت دول الغرب تعتمد في فرض سيادتها الثقافية على التطور الحضاري فإن تعميم التطور الحضـاري فـي العـالم يشـكل في حد ذاته عاملاً هاماً لتوسيع مظاهر الوعي الاجتماعي، والتمسك بالهويـة الثقافـية ، وإيجاد الأسس والمرتكزات التي تمكن الأمم والشعوب من الحفاظ على ذاتيتها ، ومواجهـة كل مظاهر الغزو الخارجية من خلال استمرارية التفاعل والتأثير المتبادل بين ماهو عالمي عـام أو قومي خاص في الثقافة ، الذي يشكل عاملاً أساسياً من تطويرها وامتلاك القدرة على التكيف والمواجهة والإبداع والتحصن ضد عوامل التذويب أو التهميش الثقافي .

فالمجتمع الدولي مجتمع متنوع الثقافات متعدد الهويات والإنتماءات ، وبالتالي فإنه من المستحيل تحويلـه ــ وهـو الـذي يبلغ عدد سكانه إلى ست مليارات نسمة تقريباً ــ إلى مجتمع واحد متناسق منسجم في كل شيء .

ومن خلال ما تقدم نرى أن العولمة تقوم على إلغاء كل ماهو قومي الهيمنة عليه ، والقضاء على هويته أو هي (إدارة للهيمنة وبالتالي قمع وإقصاء للخصوصية ، فهي طموح بل إرادة لاختراق الآخر وسلبه خصوصيته وبالتالي نفيه من العالم)(٣) .

لذلـك فـإن الفهـم العميق لديناميكية الصراع بين فكرة العولمة الثقافية وانعكاساتها وآثارها على الخصوصـيات الثقافـية القومية يحمل المناهضين للعولمة أن يبنوا مواقفهم على أساس الإيمان بأن الـثقافة العربـية بكـل ما تمثله من عمق تاريخي وما تحمله من موروث حضاري وما تعبر عنه من قـدرة علـى التجدد والإبداع والإسهام والانفتاح على الآخر والتعامل معه ؛ كانت ومازالت في وضع يمكنها من مواجهة فكرة العولمة والتصدي لقواها وذلك بالاستناد إلى جذورها الحية وانتمائها الأصيل

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٤٩

(٢) UNESCO , WORLD CULTURA REPONT CULTURE , CRETIVITY AND MARKETS FRANCE 1998 , P. 23 , نقلاً عن المرجع السابق نفس الصفحة .

(٣) د. محمد عابد الجابري ، العولمة والهوية الثقافية مرجع سابق ، ص ١٧ .

إلـــى الإسلام ، وفي نفس الوقت تدعيمها بالتقنيات الحديثة والإعلام المنظم الهادف ، والفضائيات ... إلخ . من وسائل الاتصال الحديثة المسموع منها والمشاهد وبصفة خاصة المشاهد.

وهذا ما سنبينه إن شاء الله في المبحث القادم ...

المبحث السادس : موقف الإسلام " ثقافياً وحضارياً " من تحدي عولمة الثقافة:

أولاً : الموقف الثقافي:

الإسلام دين جاء ليخاطب الإنسانية جمعاء لأنه الرسالة الخاتمة ، ومع اعترافه باختلاف الناس في ألسنتهم وألوانهم وثقافاتهم ... فقد ساوى بينهم في المعاملة ولم يفرق بينهم إلا بالتقوى ، قال تعالى : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)(١) .

واستطاع الإسلام أن يتعامل مع الثقافات والحضارات السابقة دون أي يذوب فيها أو يطغى عليها ويهدمها بل أثر وتأثر ، وفعل وتفاعل ، كما سنوضح فيما بعد .

وفي عصرنا هذا فالواقع العالمي الجديد يفرض على ثقافتنا العربية الإسلامية تحديات غير مسبوقة تدفعها إلى مراجعة إمكاناتها ، لاكتشاف مدى قدرتها على البقاء بإيجابية في النظام العالمي الجديد ، بل ومواجهتها له بكل متناقضاته المفروضة عليها والمؤثرة فيها ، يدفعها إلى ذلك حرصها على الوجود الفعال في هذا العالم الذي يجمع ما بين أقصى مظاهر التقدم ، وأقصى مظاهر التخلف ، وأعلى درجات التسامح وأعلى درجات العنف ، ويفتح آفاقاً للتنوع الثقافي واحتمالات الاعتماد المتبادل ، والعلاقات المتكافئة مقابل ألوان الهيمنة والاستغلال الجديدة ، وألوان التبعية وتلاشي الهوية(٢) .

ويتطلب هذا التعامل الإيجابي والمتوازن مع العولمة وتحدياتها ، تبدلاً أساسياً في توجهاتنا ومواقفنا النفسية التقليدية ، وفي مقدمة ذلك التخلي عن المواقف الدفاعية التقليدية ، لصالح مواقف تقوم على الثقة بالله ثم بالنفس وبالمستقبل وتبني مبادرات إيجابية بناءة ، تهدف إلى تعديل النظام العام الذي يقيس فيه ، وتطوير التعاون الجماعي الذي يمكننا من تحقيق هذا التعديل ، وهذا يستدعي الوقوف على السلبيات المعوقة لنهضتنا ، والتي منها قصور أنظمتنا الاجتماعية والثقافية ، والسياسية ... والانطلاق من هذا القصور نفسه من أجل احتلال مواقع العالمية واختراق الهامشية وكسر آليات التبعية نحو المشاركة الفاعلة والفعالة في الجهود الحضارية الإنسانية ، والمشاركة مع بقية الثقافات الإنسانية الحية والعاملة من أجل العمل على تقويض أسس السيطرة الأحادية ، وتعزيز إطار التعددية الثقافية الكونية في إطار الاحترام والتعاون والتفاعل المثرى(٣) .

إن أدواراً متعددة يجب أن تقوم بها أمتنا العربية والإسلامية للخروج من حالة الركود والرخاوة إلى المشاركة الفعالة على الصعيد المحلي والصعيد الدولي في شتى المجالات الاجتماعية والسياسية

---

(١) سورة الحجرات : جزء من الآية ١٣ .

(٢) جابر عصفور ، في دراسة له حول حتمية المواجهة بين الثقافة العربية والعولمة ضمن مؤتمر العولمة وقضايا الهوية الثقافية ، مجلة النهج ، العدد ٥٠ ، ربيع ١٩٩٨ ، ص ٦ ، نقلاً عن : العولمة دراسة تحليلية نقدية ، د. عبدالله عثمان التوم ود.عبدالرؤوف محمد آدم ، دار الوراق، الطبعة الأولى ، ١٩٩٩ ، ص ١٩٦ ــ ١٩٧

(٣) برهان غليون ، ثقافة العولمة ، مرجع سابق ، ص ٥٥ ، ٥٦ .

والاقتصادية ولا سيما الثقافية ؛ فلا بد من الاعتراف أولاً بوجود سلبيات متعددة ، ونعمل على معالجتها على جميع المستويات والأطر .

ولعل الاعتراف بقصور ثقافاتنا وتنظيماتنا هو الذي يدفعنا إلى توجيه القسم الأكبر من نشاطنا ضد الهيمنة الثقافية نحو تبلور حلول مبدعة وجديدة لمشاكلنا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية ، (أي لإعادة بناء الذات لا للدفاع عنها والتغزل بمزاياها ، والاعتزاز بماضيها والتشهير بخصومها ، فالمطلوب ــ كما يقول "برهان غليون : موقف مفارق تماماً ، أي عدم التسليم بها مشيتنا الفعلية ، وبالتالي امتلاك وعي جاد بالسيطرة الثقافية والحضارية التي تقبع علينا ، وفي الوقت نفسه التجاهل النسبي لهذه السيطرة والتعامل مع الآخر من مستوى الندية ... ففي سلونا عن هذه السيطرة أو نسيانها النسبي تكمن فرص إبداعنا حلولاً جديدة لا تكون ثمرة تقليدنا لخصمنا ولا حصيلة رد الفعل التلقائي ــ أي السلبي ــ عليه " (١) ، بل إبداع الحلول الناجحة تقوم على المبادرة والندية وتحافظ على الهوية الثقافية والتنوع الثقافي .

ويؤكد الدكتور ماهر الشريف : (أن الثقافة العربية بوسعها المساهمة في الجهد العالمي للحفاظ على التنوع الثقافي شريطة إدراكها بأن وحدة الثقافة العربية لا تقوم إلا في إطار التنوع ، وأن هويتها متجددة دوماً ومتطورة ... كما عليها التسلح بالوسائل الحديثة لمواكبة العولمة مثل الحرية ، ووسائل الإبداع والابتكار ، وإلغاء أجهزة الدولة البيروقراطية ، وتجديد أيدلوجيتها ، والتخلص من نخبويتها ، كي تتمكن من الاضطلاع بدورها في تثقيف هذا الإنسان العربي ليكون قادراً على مقاومة طغيان السلعة ، وثقافة السلعة التي باتت على وشك إماتة روحه)(٢) .

ــ وحين نتحدث عن أدوار أو رؤى استراتيجية لمستقبل الثقافة العربية فلا بد من النظر في البعد العلمي لثقافتنا ، وما توصل إليه العرب والمسلمين في مجال التقدم العلمي من الناحيتين النظرية والعلمية .

والبعد العلمي للثقافة لا بد أن يشترك في تحقيقه جهات عدة على الصعيد الفكري والمعرفي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي ، إذ إن المحافظة على السمات البارزة لشخصية الأمة وخصوصيتها الثقافية التي تمتاز بها بين الأمم إنما تزداد قوتها وفاعليتها وتأثيرها بما تحققه الدول من تقدم علمي يدعم شخصيتها ويقوي ثقافتها ، ويضمن لأجيالها عدم دمجها وإذابة هويتها في النظام العالمي الجديد .

إن الاهتمام بالبحث العلمي ، وتنمية العلم التجريبي وتطويره وتفعيله علمياً ، وإثراء التعاون المشترك بين المؤسسات العلمية والتعليمية والثقافية في الدول العربية والإسلامية في مختلف المجالات البحثية والفكرية ، والتقانية ، وفي سائر فروع المعرفة ، يفيد بلا شك في إحداث نقلة في الأفكار ، وفي التصورات لما تمثله الأسس الإسلامية للثقافة العربية من أهمية في تحديد الطبيعة البشرية بعيداً عن الطرح الغربي المهيمن اليوم .

---

(١) راجع هذا في كتابة ، ثقافة العولمة ، مرجع سابق ، ص ٥٦ ــ ٥٧ .

(٢) نقلاً عن ، العولمة دراسة تحليلة ونقدية ، د. عبدالله التوم وأخر ، مرجع سابق ، ص ١٩٧ .

فالمعارف العلمية ذات الطبيعة الخاصة وما تتطلبه من الاستعمال العلمي لتقنياتها ، مما لا يتعارض مع خصوصية الثقافة العربية والإسلامية ، فالإسلام في جوهره لا يمنع نقل عناصر ثقافية جديدة إلى صور إسلامية تتلاءم مع مبادئه ومفاهيمه الأساسية ، (فما يمكن أسلمته وتعريبه بوعي وإدراك سليم ، بعيداً عن أسباب الكراهية والعداوة والبغضاء ، فليس من مانع أن تحول عناصره الأجنبية إلى ما يكن أن يوظف ويتوصل به إلى إمكانية النماء والتطور وتشييد البناء لمواجهة التحديات الحضارية ، والعقبات الاقتصادية ، وما تجره إليه من مشاكل ثقافية تمس خصوصية الأمة وهويتها الثقافية)(١) .

– ولا ننسى في هذه العجالة أن نشير إلى دور الأنظمة التربوية في عصر العولمة ، حيث تهدف كافة الأنظمة التربوية إلى حداث تغييرات إيجابية في سلوك الأفراد وإلى تنمية شخصياتهم بشكل متكامل ، وإلى تطوير القدرات الكامنة للأفراد وتدريبهم ليصبحوا قادرين على التفكير بأنفسهم ولأنفسهم وللآخرين ، فضلاً عن تطويع التراث الثقافي ليلائم واقع الحضارة الإنسانية ، وهذا يتطلب من تلك الأنظمة التي تعد الطلبة لولوج عصر العولمة ، أن تهتم بالشباب كأدارة التغيير التي ستحمل لواء هذا العصر. ولكي تقوم تلك المنظمات التربوية بهذا الدور عليها أن تتبنى فلسفات تربوية تهتم بما يأتي :

١. الاهتمام بتطوير الممارسات العلمية وأساليب التدريس بصورة تساير التقدم الحضاري والتقاني ، وبخاصة استخدام الحاسوب والاستفادة من شبكة المعلومات (الإنترنت) ونبذ أساليب التعليم التقليدية ، التي تعتمد على التلقين والحفظ ، واتباع أساليب جديدة أكثر فاعلية كالاهتمام بالتعلم الذاتي ، واستخدام الوسائل التعليمية المتطورة .

٢. الاهتمام بالحاجات المتغيرة من العمالة المدربة بمستويات تعليمية مختلفة واللازمة لسوق العمل المحلي والإقليمي والعالمي .

٣. الاهتمام باللغة العربية كلغة قومية والاستفادة من إمكاناتها الهائلة في تلبية احتياجات العصر من مصطلحات ومفردات ... وكذا الاهتمام باللغة الانجليزية باعتبارها اللغة الرسمية لعصر العولمة ولغات جنوب شرق آسيا (اليابانية ، الصينية ، وربما الكورية) ثم الفرنسية والألمانية ، ثم الأسبانية والروسية والإيطالية على الترتيب حسب الأهمية ، وذلك بأن يكون من بين شبابنا من يتقن هذه اللغات لتلبية احتياجات الأمة في التعامل مع تلك الأمم الاستفادة بخبراتها.

٤. الاهتمام بتنمية استراتيجية التفكير الإبداعي التي تعطي أهمية لدور الحدمن عند الطلبة بدلاً من الاعتماد على الحفظ أو التذكر فحسب ، ومراعاة ما يجب أن يفعله الطالب وليس ما لدية.

ولتحقيق هذه الفلسفات لا بد من التحرر من الروتين البالي في التدريس ، واتباع أنظمة تعليم غير تقليدية تهتم بالمهارات المجتمعة لدى الطالب حيثما كان وليس في حرم المؤسسة التعليمية فحسب –

---

(١) د. عوض الجميعي ، نحو إيجاد معادلة عادلة لتواصل ثقافي بناء ، بحث في مؤتمر "الثقافة العربية بين العولمة والخصوصية" في كتاب العولمة والهوية ، تحرير ومراجعة صالح أبو أصبع وآخرون ، منشورات جامعة فيلادلفيا ، ١٩٩٩ ، ص ٢١٤ – ٢١٥ .

وهـو ما يقصد بالتفاعل الصفي واللاصفي للطالـب ــ ، وأيضاً التحرر من القيم السائدة في التعليم التـي تحصـر التعلـيم فـي ثقافة واحدة هي ثقافة المنشأ فحسب ، ولايتأتّى ذلك إلا من خلال تفاعل الجامعة بالمجتمع الحديث الذي يتصف بالتعددية الثقافية ، وأخيراً التحرر من المركزية ، ونعني بذلك توزيع المسؤولية المنوطة بسلطة مركزية على سلطات محلية تكون أكثر فاعلية وقدرة على استشعار متطلبات تلك المجتمعات والاستجابة لها(١) .

ثانياً : الموقف الحضاري للإسلام وقدرته على مواجهة تحدي عولمة الثقافة :

إن ماضينا الحضاري يشهد بدور الحضارة الإسلامية منذ فجر الإسلام وحتى يومنا هذا في مخاطبة الآخـر وكيفـية الـتعامل معـه والاستفادة من خبراته في مجالات الحياة المختلفة وبصفة خاصة في المجـال الثقافي فقد انفتحت الحضارة الإسلامية على الحضارات السابقة عليها واستفادت من ثقافتها المتـنوعة بعـد تنقيـتها ممـا يخـالف تعاليم الإسلام ، مع المحافظة على هويتها ، فقدرة الحضارة الإسـلامية علـى هضـم العناصر الأجنبية في منابتها الأولى يكشف عن خصائصها الثقافية المتجددة والفاعلـة ، علـى نحو ما قال به "برناردلويس" : (إن الحضارة الإسلامية رغم تنوع أصولها لم تكن مجـرد جمع آلي للثقافات القديمة ، بل بالأحرى خلق جديد ، انبعثت فيه صور عربية إسلامية ، وهذه العناصـر لـتكّون حضـارة جديدة ، وذلك بأن انتقلت إلى صور عربية إسلامية ، وهذه العملية سمة مميزة لكل مرحلة من مراحل تطور هذه الحضارة)(٢) .

ويضـاف إلـى ذلك أيضاً أن التاريخ أثبت أن الحضارة الإسلامية تتعامل مع الآخرين بفاعلية من غير أن تذوب في الآخر حتى أحلك الأزمات وذلك يرجع إلى أمرين هامين(٣) :

١- أن قـيمها فطـرية تتناسـب مع فطرة كل الناس ، فهي تتعدى حدود المحلية القومية إلى العالمـية ، لأن الخطـاب القرآنـي نـزل ليحمل القيم لكل الناس ، أياً كانت مواطنهم أو أعـراقهم أو لغاتهم وألوانهم وأجناسهم ، أخذاً من قوله تعالى (يأيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين)(٤) .

ومـن هـذا المنطلق ــ كما يشير د. عبد الهادي زارع ــ يتعاظم دور الأمة الإسلامية في المحافظة علـى هويـتها الثقافـية وسـط هـذا الطوفان القادم لتحميها من الثقافات الوافدة ، وفي النهوض بحضارتها المتميزة لتأخذ مكانها اللائق وفقاً لقوله تعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)(٥) .

---

(١) د. عصام نجيب ، الدور الثقافي لجامعة بين خصوصية الحداثة وتنافسية العولمة ، ضمن كتاب العولمة والهوية ، مرجع سابق ، ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

(٢) نقلاً عن د. عوض الجميعي في كتاب (العولمة والهوية) مرجع سابق ، ص ٢١٥ .

(٣) د. عبدالهادي زارع ، توظيف الإعلام لنقل الخطاب الشرعي الصحيح في ظل العولمة ، بحث منشور ضمن أعمال مؤتمر كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية ، جامعة الأزهر بعنوان (العولمة وموقف الفكر الإسلامي منها) ، نشر الدار المصرية ، الإسكندرية ، ١٩٩٩ ، ص ٩٨ ــ ٩٩ .

(٤) سورة البقرة : الآية ١٦٨ .

(٥) سورة آل عمران : الآية ١١٠ .

وهذا يقتضي أن تراجع موقفها لما هي عليه الآن ، وما ينبغي أن تكون عليه في المستقبل من حيث إثبات وجودها وفاعليتها ، والأخذ بأسباب التكتل ولم الشمل ، والاستفادة من تقنيات العصر وتكنلوجيا المعلومات ... حتى تقوى على التحدي الحضاري عملاً بقوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)(١) .

٢- إن الحضارة الإسلامية هي الوحيدة بين الحضارات التي تجمع بين عناصر البقاء والتجديد والتحديث في عالم اليوم والغد إلى أن تقوم الساعة ، وذلك لارتكازها على دعامتين هامتين:

(أ) عالمية الرسالة المحمدية ، وهذا يقضي بأن قيمتها وأحكامها وتشريعاتها عابرة للقارات ومتخطية للحدود الجغرافية ، وأنها صالحة لكل زمان ومكان وأنها جاءت لمراعاة مصالح الإنسان أينما كان وحيثما وجد ، والدليل على ذلك قوله تعالى : (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً)(٢)٢، وقوله تعالى (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً)(٣) .

(ب) أن الله تعالى ختم برسالة سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ جميع الرسالات ، وأنها الرسالة الخالة إلى أن تقوم الساعة ، ودليل ذلك قوله تعالى : (ما كان محمدُ أبا أحدٍ من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين)(٤) .

ومن السنة أيضاً ما يجمع بين هاتين الدعامتين ــ عموم الرسالة وختم النبوة ــ قوله صلى الله عليه وسلم : (أرسلت إلى الناس كافة وبي ختم النبيون)(٥) .

والإسلام باعتباره ديانة عالمية نجده أيضاً يعترف بالتنوع الثقافي في العالم ، وينظر إليه باعتباره من آيات الله في الكون وحكمته ، فهو سبحانه الذي خلق الناس من ذكر وأنثى (آدم وحواء) ومايز بين ألوانهم وألسنتهم وأجناسهم ومللهم ، ودعاهم في الوقت نفسه إلى أن يتعارفوا ويتعاونوا على ما فيه خير الإنسانية ، ليلتقوا جميعاً في دائرة "العالمين" أخوة متساوين متعارفين كما قال الله تعالى : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)(٦) .

والدخول إلى هذه الدائرة إنما يأتي من خلال احترام كل الهوايات الثقافية ، فالعالمية لا تعني محو هذه الهوايات واستبدالها بهويات مفروضة بالقوة(٧) .

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٠٣ .

(٢) سورة الأعراف : الآية ١٥٨ .

(٣) سورة سبأ : الآية ٢٨ .

(٤) سورة الأحزاب : الآية ٤٠ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، باب ذكر مبعث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ دار التحرير للطباعة ، جزء ١ ، ص ١٢٨

(٦) سورة الحجرات : الآية ١٣ .

(٧) أحمد صدقي الدجاني ، الدين والنظام العالمي بمنظور إسلامي ، مجلة الأكاديمية المغربية . مرجع سابق ص ١٠١

فالحضـــارة الإســـلامية تمتاز بأنها حضارة بناء لا تغلق الأبواب في وجه الثقافات الواردة من كل مكان ولكنها في نفس الوقت لا تفقد أصالتها من خلال الامتزاج بهذه الثقافات .

فقـد كان موقف المسلمين الأوائل من الحضارات السابقة موقفاً عملياً ، حيث أخذوا بتوجيه الرسول- صـلى الله عليه وسلم ــ حين قال : (الحكمة ضالة المؤمن ، أنى وجدها فهو أحق الناس بها)(١) . فـأخذوا مـن الحضارات السابقة ما فيه صالحهم ، وما هي في حاجة إليه من القضايا العلمية ، ولم يـتأثروا بالجانـب السلوكي والأخلاقي لهذه الأمم فترجموا علوم المادة واللسان والعمران التي تمثل الهـيكل المـتداول بين الحضارات ، مثل الطب والهندسة والفلك وعلم النبات والحيوان ، وهذه العلوم وجههـا الإسـلام توجـيهاً أخر إلى غاية أخرى غير تلك التي في عقول أصحابها ، حيث وجهها إلى خدمة الإنسانية جمعاء ، وتحرير الإنسان من عبودية الفرد ، ومنفعة الإنسان لا مضرته وذلك انطلاقاً مـن التوجيه القرآني في قوله تعالى : (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين)(٢) .

وقوله تعالى : (والذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عـن المـنكر ولله عاقـبة الأمور)(٣) ، وهكذا فعلوم التمكين والتسخير إنما ينبغي أن تستخدم في تحقيق صالح الإنسان وهدايته إلى أقوم السبل(٤) .

ونخلـص ممـا سبق إلى القول بأن الحضارات أخذ وعطاء ، وأن الناس والمجتمعات على تعددها واختلافها لا يمكن أن تعيش في عزلة عما يجري على مرأى منها ... وإذا كان الإنسان منذ مئات بل آلاف السـنين قـد تعـامل مع نظيره ، عابراً حدود وطنه مرتحلاً لطلب العلم أو التجارة أو السياحة واكتشـاف العـالم من حولهم ، فإن إنسان زماننا والزمن الآتي يكون أكثر تأثراً وتأثيراً بفضل ثورة الاتصالات والتقنيات التي قربت المسافات واختصرت الزمن .

وإذا كـان الأمـر كذلـك فلما الخوف إذاً من ظاهرة العولمة ، ما دامت عطاءاً إنسانياً في الظاهر يستهدف خير البشر ، ــ بالرغم من إدراكنا أنه عطاء يتستر بغطاء الهيمنة المعنوية والمادية وإلغاء الأخـر ــ (فالواجب علينا أن نتعامل مع هذه الظاهرة ــ كما يقول الأستاذ ــ علي عياد ــ بعقل وفكر وأسـلوب حضارتنا التي دخلت مع الآخر في صراع أو (حوار) ، وكان ومازال ممتداً منذ أربعة عشر قـرناً وربع القرن ، وبالرغم من ضراوة التحدي فما زال عطاء هذه الحضارة مستمراً محتفظاً برخمه وبهويـته وبشخصـيته ، ومـا علينـا في هذا الصدد سوى أن نصطحب في رحلتنا للمستقبل درس التاريخ)(٥) .

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجه

(٢) سورة القصص : الآية ٨٣ .

(٣) سورة الحج : الآية ٤١ .

(٤) د. سعد الدين صالح ، التواصل الحضاري والحفاظ على الذاتية ، دار الصحوة للنشر ، ١٩٩٤ ، ص ١٨ ، ١٩ .

(٥) مقال له في جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٨/٤/٢٧م . نقلاً عن كتاب ، العلمانية والعولمة والأزهر . مرجع سابق ، ص ١١٥ .

فنحن في عصر العولمة بحاجة إلى تفعيل الحوار بين الحضارات ، ليكون بمثابة استجابة للتحديات الثقافية ، بالشكل الذي يعزز التعاون بين الحضارات ويبعد شبح الصراع الذي يدعو إليه الغرب اليوم ، ولتحقيق ذلك لا بد للثقافات من إيجاد أرضية مشتركة تعزز الحوار والتعاون على حساب الصراع ، بحيث تقوم هذه الأرضية على مبدأين أساسين كما يحددهما "روبركت كوكس"(١) :

المبدأ الأول : هو الاعتراف المتبادل بالتقاليد المميزة للحضارات الإنسانية المتعددة ، وإن كان هذا المبدأ أكثر الخطوات صعوبة ــ خاصة لمن يتبنون مشروع الهيمنة على العالم مثل أمريكا وأوروبا، والذين ينظرون إلى كل شيء بوجهة نظر الغرب ، والتي قد تؤدي على سبيل المثال للنتيجة التي مفادها أن نهاية التاريخ على وشك الحدوث ــ بتتويج أبدي للحضارة الغربية الرأسمالية ، ويتضمن الاعتراف المتبادل والاستعداد لفهم الآخرين بشروطهم هم .

المبدأ الثاني : هو أن نتخطى نقطة الاعتراف المتبادل والتوجه نحو تقبل التفاعل بين الهويات الثقافية المتعددة والتي تسمح بالتعايش بين مختلف التقاليد الحضارية ، في جو من السلم والرضا لبناء عمران حضاري إنساني يحمي أمن الأرض من خطر طغيان قوى الهيمنة عليها وإفساد بيئة الحياة فيها ، ويحمي بني الإنسان من خطر الطغيان عليهم ، ويحمي الإنسان من معاناة الغربة في داخله(٢) .

وذلك يتطلب أن يحاول كل طرف فهم موقف الآخر فهماً يساعد على تحقيق التعاون بين كل الثقافات المختلفة تحت راية السلام ، ويعمل على إزالة نقاط الخلاف بينهما .

ويجدر بنا ونحن نتحدث عن حوار الثقافات والحضارات أن نشير إلى دور الإسلام في تعزيز هذا الحوار ، فالإسلام باعتباره رسالة عالمية نجده لا يؤكد على الحوار بين الثقافات والحضارات فحسب، بل يكثف الجهود من أجل إزالة كل ما من شأنه أن يعيق الحوار ويقف في طريقه وهو يضع الأسس التي تساعد على إنجاح الحوار والتي من جملتها ما يلي :

١. الإيمان بوحدة الأصل البشري ، وهو ما يؤكد قوله تعالى : (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءاً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً)(٣) .

٢. أن الحوار لا يكون إلا بالتي هي أحسن كما في قوله تعالى : (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وإنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون)(٤) .

---

(١) COX, R.W . Perspectives on multilaterlism umpublished paper , program on Multilaterralism and the united Nation system , the united Nations University , April 1997, P.P 33- 34. نقلاً عن السيد ياسين ، حوار الحضارات في عالم متغير ، مصدر سابق ص ٤٩ ، ٥٠ .

(٢) أحمد صدقي الدجاني ، قضية التعريب في ضوء سن التفاعل الحضاري ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٢١٠ ، ١٩٩٧ ، ص ٦٨ ، بتصرف .

(٣) سورة النساء : الآية ١ .

(٤) سورة العنكبوت : الآية ٤٦ .

٣. الاعتراف بالآخر ، فلا حوار من دون أن يعترف كل طرف بالآخر .

٤. تحديد الأصول التي يمكن الاتفاق عليها والانطلاق منها ، كما قال الله تعالى (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبدَ إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون)(١) .

٥. أنه لاإكراه في الدين فلا يجوز لطرف أن يفرض دينه على الطرف الآخر ، قال تعالى: (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)(٢) . ومن ثم بل ومن باب أولى فلا يجوز أن يفرض طرف نموذجه الحضاري على طرف آخر .

٦. إيمان المسلم الجازم بأن الإسلام هو الدين الحق ، بل هو الدين عند الله ، وأن اتباعه هو السبيل الوحيد للنجاة ، قال تعالى : (إن الدين عند الله الإسلام)(٣)٣ وقوله تعالى (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)(٤) .

وإذا كانت معظم الأسس السابقة تقطع الطريق أمام المسلمين أن يفرضوا نموذجهم الحضاري على الآخر أو سحقه أو الهيمنة عليه ، فإن الأساس الأخير سيزرع الثقة في نفوس المسلمين ويمنعهم من الانهزام والذوبان والتلاشي أو الانسلاخ من هويتهم الحضارية والثقافية ، وهذا ما نهدف إليه من هذه الدراسة .

٧. ثم تصل الرؤية الإسلامية للعلاقات الحضارية إلى قمتها في حثها على التعاون مع الآخر ، والبر به ، ومعاملته معاملة عادلة وإن لم يكن من المسلمين ، قال تعالى : (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين)(٥) هذا في حال السلم أما في حال الحرب والاعتداء على المسلمين فتتغير تلك العلاقة إلى حال الدفاع عن النفس ... قال تعالى (إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولّوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون)(٦)

هذا بشأن الحوار لتحقيق التعاون بين الشعوب والثقافات في ظل العولمة(٧) .

ولا يفوتنا الإشارة إلى أن حوار الثقافات والحضارات أمر غير ممكن إلا بتآلف القلوب والمحبة وبذل المساعي الصادقة لفهم الآخرين وليس التغلب عليهم ، وأن نظرية حوار الحضارات ، ستبقى مشروعاً ناقصاً ما لم تتزامن مع دراسة الأرضيات المؤدية للحروب والنزاعات ومحاولة تلاشيها وتفهمها .

---

(١) سورة آل عمران : الآية ٦٤ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٥٦ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٩

(٤) سورة آل عمران : الآية ٨٥ .

(٥) سورة الممتحنة : الآية ٨ .

(٦) سورة الممتحنة : الآية ٩ .

(٧) د. باسم علي خريسان ، العولمة والتحدي الثقافي ، مرجع سابق ، ص ١٨٥ــ١٨٩ .

وأن التفاوت الفاحش والخطير بين الفقر والغنى وسط المجتمعات والبلدان المتعددة إذا لم يتم تعديله وإذا لم تتخذ خطوات أساسية لمساعدة المحرومين في هذا العالم ، فإن الدعوة إلى السلام والحوار والتفاهم ستظل دعوة متفائلة ساذجة .

وعلينا أن نعلم أخيراً أنه إذا كان القرن العشرين قد دارت رحاه على مدار السيف ، وكان البعض فيه مغلوباً والبعض الآخر غالباً فإن مدار القرن الحادي والعشرين لا بد أن يقوم على الحوار وإلا فإن السيف سيكون سلاحاً ذو حدين لن يرحم أحداً ، ولعل قادة الحرب المنفذين سيكونون أول ضحاياه .

والله أعلـــــم ،،،

الخاتمة

وبعد هذا العرض نحاول أن نرصد أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة ومنها :-

١. أن العولمة أصبحت واقعاً لا مجال لانكاره وإن كانت لم تكتمل بعد ، وأن آثارها المتعددة في المجالات المختلفة ، اقتصادياً ، وسياسياً ، وثقافياً ـ أخذت في الظهور والنمو ، وأنه على المسلمين أن يعملوا بجد لوضع بصمتهم إلى جانب بصمات الآخرين على وجه العولمة ، وأن يكون لهم نصيب من المشاركة تليق بمكانتهم وبتاريخهم وحضارتهم ، وتضمن لهم شغل مكانة مرموقة بين الأمم والشعوب بدلاً من البقاء كماً مهملاً على هامش التاريخ .

٢. أنه رغم كثافة الضخ الإعلامي والثقافي الموجه ، وما حققته أمريكا من نجاح يؤكد هيمنتها على العالم ، فإن التطورات المحتملة إلى جانب عدم حسم قوى العولمة الصراع مع القوى المناهضة لها داخل أمتنا العربية والاسلامية ، سيعزز محاولات التصدي لهذه الظاهرة والتغلب على سلبياتها .

٣. أنه لا ينبغي للمسلمين أن يستسلموا للعولمة بوصفها القدر المحتوم ـ كما يروج لها بعضهم ـ فقد انتهى عصر الحتميات ، وعليهم أن يحافظوا على رسالتهم العالمية ويقدموها للناس ، فهي كفيلة بمعالجة سلبيات العولمة كلها .

٤. أن احتلال الثقافة المسيطرة الآن لهذا الموقع المتميز لم يكن بفضل برنامجها الديني القيمي الأخلاقي ... الذي ينهض بالبشرية من براثن الشرك والإلحاد والفسوق والفجور ؛ ولكن لكونها ثقافة تنتسب الى المجتمعات المسيطرة ، فهي لمجرد سيطرتها تحظى باستثمارات بشرية ومادية كبيرة وتجتذب النخب المؤهلة من كل مكان ، ومن ثم تشهد ازدهاراً ونمواً ضخماً يميزها على باقي الثقافات ، ولكن ما يلبث هؤلاء إلا وينفضوا عنها عند اكتشافهم لا إنسانية العولمة وخلوها من القيم ، وإساءتها للأديان وسحقها للثقافات القومية المستضعفة.

٥. أن السيطرة الثقافية لا تعني بالضرورة سلب الثقافات الأخرى إتساقها الداخلي وقدرتها الإبداعية ؛ فبإمكان الكثير من الثقافات بلورة استراتيجية فعالة للحد من هذه السيطرة ، أو الالتفاف عليها أو التعامل معها ، بطريقة تسمح لها بالاستمرار في البقاء والصراع ، والمشاركة في الابداعات الحضارية ، كما هو الشأن اليوم بالنسبة للثقافات الأوربية المختلفة في مواجهة الثقافة الأمريكية المسيطرة(١) .

٦. أن الإختراق الثقافي يعد واحداً من أهم تحديات العولمة التي تواجهها الثقافة ، إلا أن أثاره ونتائجه تتوقف على مدى قوة وضعف الثقافة المستقبلة له ؛ فكلما كانت الأمة متماسكة ومحصنة من الداخل ، وقادرة على التعامل مع الآخر ؛ بل والتفاعل معه ، وتعمل على تجديد ثقافتها الخاصة بها، وعندها القدرة على المساهمة في صياغة الثقافة العالمية ، وليس مجرد استقبال الثقافات والمعارف الوافدة من الخارج فحسب ، فإنها لا تخشى هذا الاختراق على ثقافتها ، والأمة الإسلامية بإمكانها ذلك .

٧. أن الأثار السلبية للعولمة الثقافية لن يكون لها سلطاناً على أصحاب العقيدة الراسخة والقناعة الواثقة بمثاليتهم وأخلاقياتهم ، من منطلق أن العقائد لا تفرض فرضاً ، ولا تزرع رغماً عن معتنقيها ، ومن ثم يكون الجهد المبذول من علمائنا المهتمين بظاهرة العولمة وأثارها على الأمة موجهاً بالأساس إلى جانب التوعية والتبصرة والتركيز على ظاهرة الخواء الفكري التي يعاني منها قطاع من مجتمعاتنا لأسباب متنوعة(٢) .

---

(١) برهان غليون ، ثقافة العولمة ، مرجع سابق ص٥٠

(٢) أ.د. أحمد عبيد ، دور الأزهر والمؤسسات الإسلامية في مصر في عصر العولمة ، بحث ألقاه ضمن فاعليات مؤتمر (العولمة وموقف الفكر الاسلامي منها) الذي عقد في كلية الدراسة الإسلامية والعربية للبنات بالاسكندرية ، جامعة الأزهر في الفترة من ٢٩-٣٠ نوفمبر ١٩٩٩م ، ص٥٢ .

٨. أن مواجهة تحديات العولمة الثقافية والمحافظة على الهوية الثقافية يجب ألا تقتصر على الجهات الحكومـــية أو الدولية فحسب ؛ بل تحتاج إلى جهد عالمي يشارك فيه المنظمات الدولية الحكومية وغـير الحكومـــية للمساهمة في معالجة المشاكل التي تطرحها العولمة ، لذا فإنه على الدول أن تقدم الدعم لها مادياً ومعنوياً والعمل على توجيهها بالشكل الذي يخدم الإنسانية .

٩. أن عولمة الثقافة تعمل على تذويب الثقافات والهويات البشرية وصهرها في ثقافة عالمية واحدة ، وهذا ما يؤكد مسؤوليتنا في الحفاظ على الهوية الإسلامية وتحصين العقل المسلم من الاختراق الثقافـــي في مجال القيم والثوابت العقدية التي تحفظ للأمة كيانها ، غير أن ذلك لا يعني القطيعة المطلقة مع الآخرين ، فالإسلام هو دين التواصل الحضاري ، ولا يمنع من الاستفادة من الآخرين في المجالات التقنية والعلمية ، وكل شي لا يتعارض مع ثوابت الإسلام.

١٠. أنـــه على أي أمة تريد أن تشارك في العولمة أن تتزود بالمعارف والتقنيات الحديثة ، وأن تحدث طـــرق ووسائل التدريس في دور العلم لديها ، وأن يكون لديها برنامجاً تربوياً ناجحاً يهدف إلى تنشـــئة جـــيل فاهم لما يدور حوله من أحداث وكيفية التعامل معها ، وأن تهتم بالتخصصات التي تلبي حاجات الأمة في هذا العصر وسوق العمل المحلي والعالمي .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،،

ثبت بأهم المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم .

٢. د. ابراهيم وخزان ، العرب وتوازن القوى ، القرن الحادي والعشرين دراسة لواقع القوى العظمى وانعكاسات هذا الواقع على الوطن العربي ، ١٩٩٥م .

٣. د. أحمد عبيد ، دور الأزهر والمؤسسات الإسلامية في مصر في عصر العولمة ، بحث في مؤتمر (العولمة وموقف الفكر الإسلامي منها) عقد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات في الإسكندرية من ٢٩-٣٠ نوفمبر ١٩٩٠ ، نشر الدار المصرية بالإسكندرية ، ٢٠٠٠م.

٤. أحمد صدقي الدجاني ، قضية التعريب في ضوء سن التفاعل الحضاري ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٢١٠ ، ١٩٩٧م.

٥. أحمد صدقي الدجاني ، الدين والنظام العالمي بمنظور إسلامي ، مجلة الأكاديمية المغربية ، الرباط ، العدد ١٢، ١٩٩٥م.

٦. د. أحمد صدقي الدجاني ، مناقشة لبحث السيد يس ، حول مفهوم العولمة ، من كتاب العولمة والعرب ، تحرير أسامة الخولي ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ،١٩٩٧م .

٧. إدوارد سميث ، ما بعد الحداثة ، الفن البصري والفن الحركي ، ترجمة فخري خليل ، مجلة آفاق عربية ، العدد ٧-٨ ، ١٩٩٥م .

٨. د.باسم خريسان (العولمة والتحدي الثقافي) ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ٢٠٠١م.

٩. برهان غليون ، ثقافة العولمة ، دار الفكر ، دمشق ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٩م.

١٠. تركي الربيعي وزكي الميلاد ، الإسلام والغرب : الحاضر والمستقبل ، حوارات القرن الجديد، إعداد وتحرير ، عبدالواحد علواني ، بيروت ، دار الفكر المعاصر ، ١٩٩٨م.

١١. جابر عصفور ، في دراسة له حول حتمية المواجهة بين الثقافة العربية ، والعولمة ضمن مؤتمر العولمة وقضايا الهوية الثقافية ، مجلة النهج ، العدد (٥٠) ، ربيع ١٩٩٨م.

١٢. جيمس ميتلمان ، هواجس العولمة ، عرض مجلة السياسة الدوليه ، العدد ١٣١ ، ١٩٩٨

١٣. جيهان أحمد رشتي ، الآثار الثقافية عبر الأقمار الصناعية ، في كتاب الثورة التكنلوجية وسائل الاتصال العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٩٠ .

١٤. حازم صاغية ، وداع العروبة أم عروبة إلى الأبد ، نشر جريدة البيان ، العدد ٦٤٨١ .

١٥. د. حسين علوان حسين ، العولمة والثقافة العربية ، بحث منشور في المؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب والفنون (الثقافة العربية بين العولمة والخصوصية) ضمن كتاب (العولمة والهوية) منشورات جامعة فيلادلفيا ، ١٩٩٩ .

١٦. د. خليل إسماعيل الحديثي ، المعاهدات الغير متكافئة المعقودة في وقت السلم ، دراسة قانونية سياسية ، مطبعة جامعة بغداد ، ١٩٨١م .

١٧. د. سعد الدين صالح ، التواصل الحضاري والحفاظ على الذاتية ، دار الصحوة للنشر ، ١٩٩٤ م .

١٨. د. سعد الدين صالح ، العالم الإسلامي وتحديات العولمة ، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي ، ٢٠٠١م.

١٩. سمير أمين ، (نقد الأيديولوجية الرأسمالية) من كتاب العولمة والتحولات المجتمعية في الوطن العربي ، تأليف نخبة من الباحثين ، تحرير د.عبد الباسط عبدالمعطي ، مطبعة مدبولي القاهرة ، ١٩٩٩م .

٢٠. د. سيار الجميل ، العولمة والمستقبل ، استراتيجية تفكير ، الأهلية للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، عمان .

٢١. د. سيار الجميل ، العولمة الجديدة والمجال الحيوي للشرق الأوسط ، مفاهيم عصر قادم الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٩٧م.

٢٢. السيد يس ، صياغة الهوية وعولمة الخيال في القرن الحادي والعشرين ، مجلة المنتدى ، العدد ١٤٧ ، ١٩٩٧ .

٢٣. صادق جلال العظم ، ماهي العولمة ، مجلة الطريق ، بيروت ، العدد الرابع ، ١٩٩٧م.

٢٤. صموئيل هانتنجتون ، صدام الحضارات ، إعادة صنع النظام العالمي الجديد ، ترجمة طلعت الشايب ، القاهرة ، ١٩٩٨م.

٢٥. ضياء قريش ، العولمة : فرص جديدة وتحديات صعبة ، مجلة التمويل والتنمية ، الصندوق والبنك الدولي ، آذار ١٩٩٦م.

٢٦. عبدالله عبد الدايم ، العرب والعالم بين صدام الثقافات وحوار الثقافات ، المستقبل العربي ، العدد٢٠٣ ، ١٩٩٦م.

٢٧. د.عبدالله عثمان التوم ، ود. عبدالرؤوف محمد آدم ، العولمة دراسة تحليلية نقدية دار الوراق ، ط١ ،١٩٩٩.

٢٨. د. عبد الفتاح الفاوي ، العولمة وموقف الإسلام منها ، محاضرة ألقاها في جامعة الإمارات في مايو ١٩٩٩.

٢٩. د. عبد الهادي زارع ، توظيف الإعلام لنقل الخطاب الشرعي الصحيح في ظل العولمة ، بحث منشور ضمن أعمال مؤتمر (العولمة وموقف الفكر الإسلامي منها) المنعقد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية جامعة الأزهر ، نشر الدار المصرية ، الإسكندرية ، ٢٠٠٠م.

٣٠. د. عصام نجيب ، الدور الثقافي للجامعة بين خصوصية الحداثة وتنافسية العولمة ، ضمن كتاب (العولمة والهوية) منشورات جامعة فيلادلفيا ، ١٩٩٩.

٣١. علي إبراهيم ، المهاتما غاندي ، حياته وفكره ، القاهرة ، ١٩٦٥.

٣٢. د. عليان عبدالله الخولي ، دور وسائل الإعلام في تعزيز الثقافة العربية ، ضمن كتاب (العولمة والهوية) منشورات جامعة فيلادلفيا ١٩٩٩.

٣٣. د.عوض الجميعي ، نحو إيجاد معادلة عادلة لتواصل ثقافي بناء ، بحث في مؤتمر (الثقافة العربية بين العولمة والخصوصية) ، ضمن المرجع السابق .

٣٤. الفريد فرج ، العولمة في مرآة الثقافة القومية ، مقال في جريدة الأهرام بتاريخ ٩٨/١٠/١٥

٣٥. كامل أبو صقر ، العولمة التجارية .. رؤية إسلامية ، دار مكتبة الهلال ، ودار الوسام ، بيروت ، ٢٠٠٠.

٣٦. د. ماجد شدود ، العولمة ، مفهومها ، مظاهرها ، سبل التعامل معها ، ١٩٩٨.

٣٧. د. ماجد شدود ، المتغيرات الدولية ومستقبل نظام الدولي ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨ .

٣٨. د. محمـــد عابد الجابري ، قضايا الفكر المعاصر ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، طبعة أولى ، ١٩٩٧ .

٣٩. د. محمد عبدالشفيع ، التنمية وأوهام خمسة ، مجلة السياسة الدولية ، العدد ١٣٣ .١٩٩٨

٤٠. د. مصـــطفى حجـــازي ، العولمـــة والتنشأة المستقبلية ، مجلة العلوم الإسلامية ، العدد ٢ ، صيف ١٩٩٩.

٤١. د. مصـــطفى عمر التير ، آراء حول المحافظة على الهوية الثقافية العربية في ظل العولمة ، مجلة دراسات .

٤٢. د. مصطفى عمر التير ، الثقافة العربية والغزو الثقافي ، صراع وجود ، مجلة شؤون عربية، العدد ٨٥ ، ١٩٩٦.

٤٣. د. هـــانس بيـــتر ، وهـــارولد شومان ، فخ العولمة ، ترجمة د. عدنان عباس ، نشر المجلة القومية للثقافة ، الكويت ، ١٩٩٨.